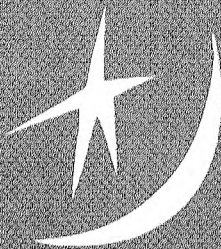
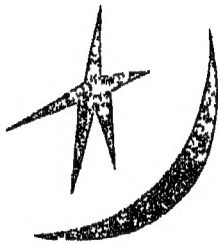


کتابخانه



ایران



الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار الشروق

بيروت ص ٨٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٣١٥١١ - رقيقا الشروق

تلكم HROK 20175 LE

القاهرة ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٧٧٤٨١٤ - رقيقا شروق

تلكم 93091 SHROK UN

مكتبة
الشيخ
الشيخ



رواية
الشيخ

هذه المجموعة سجل للحظات العمر الدابر ، فيها شيء
من شعر الشباب وأمشاج من شعر الكهولة والشيخوخة .
فاذا وجدت فيها شيئاً من التباين فمن هنا يأتي التباين .

مُقَدِّمَةٌ

أَطَلْتُ فِي لَيْلِهَا قِيَامِي وَعَشْتُ فِي ضَجَّةِ الصُّمُوتِ
وَضَلُّ رَكْبُ الْوَرَى أَمَامِي فَلَا ثَبَاتٌ وَلَا ثُبُوتٌ
وَكُنْتُ أَخْشَى مِنَ الْكَلَامِ فَصِرْتُ أَخْشَى مِنَ السُّكُوتِ
ط. ا.

سبتمبر ١٩٨٠



رَاهِبُ اللَّيْلِ

عَاشِقُ الرُّوحِ مَسْتَهَامٌ ضَمُّهُ اللَّيْلُ وَالْأَلَمُ
كُلَّمَا اسْتَقْبَلَ السُّهَامُ غَالَطَ الدَّمْعُ وَابْتَسَمَ

راهبُ الليلِ لا ينامُ والجوى عنه لم ينم
عاشقُ الروحِ مُستهامٌ ضمه الليلُ والألم
كلما استقبل السهام غلطَ الدمعَ وأبتسم

هكذا نحنُ في القمم
نصنعُ الخلدَ والقيم

إنما الحبُّ كبرياءٌ تصلُ الأرضَ بالسَّماءِ
هاتِ ياليلُ ما تشاء

سَترانا مع الصباحِ عندما يُقبلُ الصباحُ
قد كبرتنا على الجراحِ
وَأزَفَعْنَا على الألمِ

هَمَسَ الْوَرْدُ لِلرِّيحِ وَهِيَ تَذَرُوهُ لِلرَّغَامِ
 قَالَ هَلْ يُسَكِّتُ الثُّوَاخَ صِيحَةً الْحَبِّ وَالسَّلَامِ
 أَوْ تُرَى يَتَّبِعِي الصَّبَاحَ أَوْ تُرَى يَخْلُدُ الظَّلَامَ
 وَأَرَى الشَّمْسَ مِنْ بَعِيدٍ
 تَشْرُ الصُّبْحَ مِنْ جَدِيدٍ
 فَيَغْنِي لَهُ الْوُجُودُ فَرَحَةَ الْحَبِّ وَالْخُلُودِ
 وَهُوَ يَخُونُ عَلَى الْوُرُودِ
 وَإِذَا مَا أَتَى الصُّبْحَ سِرَانَا مَعَ الصُّبْحِ
 قَدْ كَبَّرْنَا عَلَى الْجِرَاحِ
 وَارْتَفَعْنَا عَلَى الْأَلَمِ
 لَا تَقُلْ طَالَتْ الشُّجُونُ نَحْنُ أَقْوَى مِنَ الشَّجَنِ
 كُلُّ مَا كَانَ أَوْ يَكُونُ هَانَ إِنْ نَحْنُ لَمْ نَهْنُ
 نَحْنُ لَا نَرْهَبُ الْمُتُونُ نَحْنُ أَبْقَى مِنَ الزَّمَنِ
 وَلَنَا الْحَبُّ وَالْحَيَاةُ
 رَغَمَ مَا تَصْنَعُ الْحَيَاةُ
 وَخُطَانَا عَلَى الرُّمَالِ تُظْلِعُ الْحَبَّ وَالْجَمَالَ
 قَصَرَ اللَّيْلُ أَمْ أَطَالَ
 سِرَانَا مَعَ الصَّبَاحِ عِنْدَمَا مَا يُقْبِلُ الصَّبَاحُ
 قَدْ كَبَّرْنَا عَلَى الْجِرَاحِ
 وَارْتَفَعْنَا عَلَى الْأَلَمِ



هي الأرض طَبَعَ في بَنِيهَا وَمَنْ تَكُنْ
جِبَلُهُ الْأُولَى تَرَاباً تَمَرِّداً
وَكَمْ ضَارِبٍ فِيهَا بَعْكَازٍ تَائِهٍ
يُعَدُّ مِنَ الْمَوْتَى وَإِنْ رَاحَ أَوْ غَدَا

ميلادُ شاعر

مهدة إلى الملاح التائه شاعرنا الباقي علي محمود طه

١

إلى مثله تَصْبُو عذارى الخواطرِ
وفي يومه تَصْحُو سَكَارَى المَزاہِرِ
وفي كل هَمْسٍ حَوْلَ بعنائه ضَجَّةُ
وفي كلِّ معنى منه صرخةٌ نائِرِ
أَلَمْ على الأيامِ يَسْقِي جَدِيدِهَا
وَيُنِي جَدِيداً فَوْقَ أَطْلَالِ دَائِرِ
هو الشعرُ ما غَنَى ربيعٌ، وما بَكَى
خريفٌ، وما اخْضَلَّتْ عيونُ الأزاهِرِ
تَرَاتِيلُ أنسامٍ، وتَسْبِيحُ جَدُولِ
وَأَنَّهُ مَوْجُوعٌ، ومَصْبَاحُ حَائِرِ

أراق على وجهِ الصباحِ ضيائه
وعاقره في الليلِ صمتُ الدِّاجِرِ
وودتُ بناتِ الزَّهرِ لو أن عَرَفَها
مِنَ النِّعمِ القُدسيِّ سَبْحَةُ خَاطِرِ
وإنَّ جمالاً لم تُسجِّلْهُ ريشةُ
مِنَ الفنِّ نَهَبَ لِلسُّوافيِ الثَّوائرِ
وإنَّ حياةً لا تُحسُّ جمالُها
لَتَكْلِفُ مَصْفُودٍ، وَصَفَقَةَ خَاسِرِ
تَعَثَّتْ بِهِ الْآبَادُ مِنْ قَبْلِ عَزْفِهِ
كلاماً فجابَ الدهرَ أوَّلَ عابِرِ
وَأَرْهَضَ لِلْأوتارِ حَتَّى إِذَا شَدَا
تَجَاوَبَ قَرُحُ الْكُونِ فِي بَرْحِ سَاهِرِ
وَدَقَّتْ نَوَاقِيسُ الْحَيَاةِ وَأَطْلَقَتْ
رَهَائِبُهَا فِي الْجَوِّ رُوحَ الْمَبَاخِرِ
وَنَادَى مُنَادٍ فِي السَّمَوَاتِ أَوْقِدُوا
كَوَاكِبَهَا فَالْيَوْمَ مِيلَادُ شَاعِرِ

٢

فَضَجَّ بِأَغْرَاسِ السَّمَوَاتِ عَيْدُهَا
وَقَرَّ عَلَى شَطِّ الْحَيَاةِ شَرِيدُهَا

تَجَرَّدَتْ الْأَنْغَامُ فِيهِ عَوَالِمٌ
يُتَرَجَّمُ أَسْرَارَ الْوُجُودِ وَجُودُهَا
وَأَقْبَلَ رَبُّ الشَّعْرِ فِي أَيِّ مَوْكِبٍ
تَحُفُّ بِهِ حُورُ السَّمَاءِ وَغِيْدُهَا
وَطَافَ بِهِ جَبْرِيلُ قَبْلَ نُزُولِهِ
إِلَى الْعَالَمِ الْمَحْدُودِ وَالْأَرْضِ بِيْدُهَا
فَلَمَّا دَنَا مِنْ جَوْهَرِ الشَّعْرِ زَلْزَلَتْ
بِهِ السَّاحَةُ الْكُبْرَى وَمَا جِ أَيْدُهَا
وَقِيلَ لَهُ يَا شَاعِرَ الْكَوْنِ هَذِهِ
هِيَ الْجَذْوَةُ الْأُولَى وَأَنْتَ وَقَيْدُهَا
وَعَثَّ بِالنَّارِ الْقَدِيمَةِ كَاهِنٌ
وَمَسَّ بِهَا الدُّنْيَا فَضَاءَ عَمُودُهَا
وَدَبَّ بِهَا مَعْنَى جَدِيدٌ وَأَمْرَعَتْ
بِطَائِحُهَا الْجَدْبَاءُ وَاخْضَرَّ عَوْدُهَا
وَأَطْلَعَ سَاقِي الشَّعْرِ فِي الْبَيْدِ كَرَمَةً
مُنْعَمَةً يَحْدُو الزَّمَانَ نَشِيدُهَا
وَنَادَى نَبِيُّ قَوْمِهِ: تِلْكَ وَاحِدَةٌ
عَلَى الْأَفْقِ عَذْرَاءُ الْجِنَانِ وَلُودُهَا
فَمَا آمَنْتَ بِالشَّعْرِ إِلَّا لُحُونُهُ
وَرَانَ عَلَى الْأَرْضِ الْعَجُوزِ جَمُودُهَا

وَقَدَّرَ لِلدُّنْيَا الشَّقَاءَ فَأَلْحَدَتْ
وَجَدَفَ غَاوِيَهَا وَضَلَّ رَشِيدُهَا
وَأَشْرَعَتِ الْأَطْمَاعُ فِيهَا ضَغَائِنَا
يُجَادِلُ فِي مَعْنَى السَّلَامِ حَدِيدُهَا
وَمَا كَدَّرَ الْأَيَّامَ إِلَّا ظُمَاؤُهَا
وَهَلْ شَابَ مَاءَ الْعَيْنِ إِلَّا وُرُودُهَا
فَلَا طَابَ نَفْسًا بِالْحَيَاةِ شَقِيَّتُهَا
وَلَا قَرَّ عَيْنًا بِالْحَيَاةِ سَعِيدُهَا

٣

أَتَشُدُّ فِي دُنْيَا الْحَيَارَى مَنْ اهْتَدَى ؟
أَفِي الْحَانَةِ الْحَمْرَاءِ تَرْتَادُ مَعْبَدًا ؟
هَرَقْتُ إِذْنُ يَا سَادِنَ الشَّعْرِ لَحْنَهُ
وَأَهْدَرْتُ لِلْغَافِقِينَ نَائِيًا مُسَهَّدًا .
هِيَ الْأَرْضُ طَبَعَ فِي بَيْنِهَا، وَمَنْ تَكُنْ
جِبِلَّتُهُ الْأُولَى تَرَابًا تَمْرُدَا
وَكَمْ ضَارِبٍ فِيهَا بِعُكَّازِ تَائِهِ
يُعَدُّ مِنَ الْمَوْتَى وَإِنْ رَاحَ أَوْ غَدَا
وَكَانَتْ حَيَاةُ النَّاسِ لَوْلَا زَحَامُهُمْ
عَلَيْهَا طَرِيقًا لِلْسَّلَامِ مُعَبَّدَا

فلا تَكْ نجماً جاوزَ الليلَ وحدَهُ
بَيِّدَاءَ فَأَنْشَأْتَ أَشِعَّتُهُ سُدى
لِمَنْ شَارِقٌ فِي الأفقِ إِنْ كُنْتَ لَا ترى
وَفِيْمَ هُتَافُ الوُرُقِ إِنْ كُنْتَ جَلَمدا

* * *

هُنَالِكَ والدنيا روايةٌ ظالمٍ
وَقِصَّةُ مَظْلُومٍ وتَلْفِيْقُ مُتَتَدَى
وفي ليلةٍ ظلماءٍ يَتَسَلُّ بِرَقْهَآ
كَمَا جَرَّدَتْ كَفَّ الكَمِيِّ المُهَنَّدَا
وفوقَ رَبَاةٍ يَكْمُنُ الدهرُ عندهَا
وَتُبْصِرُ فِيهَا - قَبْلَ مَوْلِدِهِ - غَدَا
دَعَا رَبُّهُ الشَادِي وَأَوْفَى بِشَعْرِهِ
إِلَى الْعَالَمِ الثَانِي وَمَدَّ لَهُ يَدَا
وَكَفَّ عَنِ الْأَوْتَارِ فَهِيَ نَوَاشِزُ
كَأَعْصَابِ محمومٍ أَلَحَّ بِهِ الصُّدَى
وَقَالَ بنو الموتى لَقَدْ مَاتَ شَاعِرُ
وَكَيْفَ يَذُوقُ الموتَ مَنْ كَانَ مُخْلَدَا
بِقَدْرِ شَعُورِ المرءِ يَمْتَدُّ عَمْرُهُ
وفي حَمَاةِ الْأَيَامِ يَرْدَى بنو الرَّدَى

وما مات شادٍ بالجمالِ وإنما
إلى عالمِ الألحانِ عاد كما بدا
ومَنْ فهمَ الأيامَ لحناً مُجَدِّداً
تراءتْ له الأيامُ لحناً مُجَدِّداً



ربما استغنت الحياة عن العلم على رغم ما أتى العلماء
وعلى الفن وحده عاش أجدادك دهرًا وهم به سعداء
إن من أطلقوا العقول علينا لست تدري أحسنوا أم أساءوا

في حانة سيد درويش

ألقيت في الاحتفال بذكره الخامسة والعشرين

دَارَتِ الكأسُ والتقى الندماءُ
وأَعَادَتْ أَيَّامَهَا الصُّبَّاءُ
وصَفَا مَجْلِسُ الشَّرَابِ وَطَابَتْ وَصْحَا فِي عِبِيرِهَا الإِغْرَاءُ
وَبَدَتْ حَوْلَهَا الْمَزَاهِرُ تَشْدُو. وَدَعَا الشَّرْبُ سَامِرٌ وَغِنَاءُ
وَاسْتَوَى الضَّارِبُونَ فِيهَا أَفَانِينَ وَيَأْتَتْ عَلَى الْغَدِيرِ الظُّمَاءُ
الليالي والصُّفُوفُ النَّدْمَاءُ
وَسُقَاةُ الْمَلَايِحِ الْقَدَمَاءُ
بَاكَرَتْهُمْ فِي مَوْسَمِ الْفَنِّ فَانْتَالُوا كَمَا يَجْمَعُ الْفَرَاشُ الضِّيَاءُ
أَمْ يَانْدِيمَايَ: هَذِهِ حَانُ بَاخُوسَ وَهَذِي أَنْغَامُهُ الْعِذْرَاءُ
نَبْضَاتُ الْأَوْتَارِ فِيهَا تَرَاتِيلُ وَهَمْسُ الْأَعْوَادِ فِيهَا دُعَاءُ

عَصَرَ الْفَنُّ كَرَمَهَا مِنْ مَعَانِيهِ وَدَارَتْ بِهَا التُّغُومُ الرِّضَاءُ
وَإِذَا الْقَوْمُ بَعْدَ (خَمْسٍ وَعَشْرِينَ) نَشَاوَى كَعَهْدِهِمْ أَنْضَاءُ
رَقَصَتْ فِي أَعْصَابِهِمْ سَوْرَةُ الْفَنِّ وَلِلْفَنِّ سَوْرَةٌ وَانْتِشَاءُ
نَعْمَ عَاجِبٌ، وَلِحْنٌ رَوَاءُ

وَهَوًى سَاكِبٌ، وَطَبِيعٌ رُخَاءُ

وَتَصَاوِيرُ لِلْوُجُودِ كَمَا لَوْ شَقَّهَ الرَّسْمُ أَوْ نَحَاهُ الطَّلَاءُ
وَتَعَابِيرُ عَنْ مَعَانٍ دِقَاقٍ لَمْ يُحَوِّمْ فِي جَوْهَا الشُّعْرَاءُ
أَنْكَرْتُ عَالَمَ الْفَنَاءِ وَضَجَّتْ فِي صِدَاهَا الْحَيَاةُ وَالْأَحْيَاءُ
صَانِعُ الْخُلْدِ لَا يَمُوتُ وَإِنْ مَدَّتْ عَلَيْهِ سُجُوفُهَا الْغُبْرَاءُ
عَلَّمَتْهُ الْإِنْسَامُ كَيْفَ الْبُكَاءِ

وَهَدِيرُ الْأَمْوَاجِ كَيْفَ الْإِبَاءِ

وَعَوِيلُ الرِّيحِ كَيْفَ التَّشْكَّى، وَعَبِيرُ الْوُرُودِ كَيْفَ الْغِنَاءِ
رُبُّ لَحْنٍ كَأَنَّهُ مَوْكِبُ الرُّعْدِ عَتِيًّا كَأَنَّهُ الْكِبْرِيَاءُ
وَلُحُونٍ كَأَنَّهُا رَقْصَةُ النَّارِ تُغْنِيهَا الزُّعْرُوعُ النُّكْبَاءُ
وَلُحُونٍ كَأَنَّهُا لِحْظَةُ الْوَصْلِ زَهَّتْهَا مَلَاوَةٌ وَلِقَاءُ
وَلُحُونٍ تُصَوِّرُ النَّفْسَ الْوَانَا فُفِيهَا الطُّيُوفُ وَالْأَصْدَاءُ
نَعِمَاتٌ تَرَدَّدُ الْبَدْعُ فِيهَا وَسَقَتْهَا الْبَدِيعَةُ الْوُطْفَاءُ
غَالٌ خَلَقَهَا الرَّدَى فَتَبَّأَهَا خُلُودٌ وَذَاذٌ عَنْهَا وَفَاءُ
يَخْفُضُ الدَّهْرُ عِنْدَهَا مِنْ جَنَاحِيهِ وَيَزْدَى الرَّدَى وَيَفْنَى الْفَنَاءُ
هِيَ كَالْخَمْرِ كُلَّمَا شَيَّخَ الدَّهْرُ تَنَاهَى بِهَا الصَّبَا وَالْفَتَاءُ

ينبضُ الحبُّ في سَناها وتَدْعوكَ إلى اللهِ رَوْحُها الحِسناءُ
ومن الفنِّ ما يُعَلِّمُكَ الحقَّ إذا مَوَّهَ الوجودَ الرِياءُ
ومن الفنِّ ما يُبَشِّرُ بالرحمةِ دُنْيا طَغى عليها الشقاءُ
ليس في جوهر الحقيقةِ غيرُ الفنِّ شيئاً. وغيرُهُ أَسْماءُ
والذي أَبْدَعَ العوالمَ فَتَنانُ تَظَنِّي في فَهْمِهِ الفُهماءُ
والليالي قصائدُ عصماءُ

وأولو الفنِّ وحدهم أنبياءُ
ربما اسْتَغْنَتْ الحِياةُ عن العلمِ على رِغمِ ما أتى العلماءُ
وعلى الفنِّ وحده عاش أجدادُكَ دَهرًا وهم به سَعْداءُ
إن مَنْ أَطْلَقُوا العقولَ علينا لَسْتُ تَدْرِي أأَحْسِنُوا أمْ أَسَاءُوا
والذي ظَنُّها تراباً وماءٌ هو في نَفْسِهِ ترابٌ وماءٌ
شَدَّ ما تَجَنَّحُ الحِياةُ إلى الروحِ وإن كان في الطَريقِ التواءُ



ولكنُ الظلامَ إذا تماذى
فليسَ مِن انتظارِ الفجرِ بُدُّ
وقد يأتي الصباحُ على هوانا
وقد تَجري الرياحُ كما نودُّ

في انتظار الفجر

بِقَلْبِي مَا بِقَلْبِكَ أَوْ أَشَدُّ
وَعِنْدِي مِنْ جَوَاكِ جَوَى وَسُهِدُ
وَلَكِنِّي أَكْبَرُ فِيكَ ضَعْفِي
وَدَمْعِي مِثْلُ دَمْعِكَ مُسْتَبِدُّ
تُرَاوِدُنِي دَوَاعِيهِ فَأُغْضِي
وَبِي مِنْ كِبْرِيَاءِ الدَّمْعِ جَهْدُ
إِذَا سَكَنْتَ إِلَيْهِ الْعَيْنُ يَوْمًا
تَمَرَّدَ فِي دَمِي لَهَبٌ وَوَقْدُ
فَيُرْمِينِي عَلَى الْعِبَرَاتِ وَجَدُّ
وَيُثْنِينِي عَنِ الْعِبَرَاتِ وَجَدُّ

ولو أني بكيْتُ لَحَفْتُ ما بي
ولكنَّ البُكا لِلهُرِّ قَيْدُ

* * *

هي الدنيا فلا تَعْتَبْ وَخُذْهَا
على عِلَاتِهَا لا شيءَ بَعْدُ
وللأَيامِ أَعْمَارُ قِصَارُ
وأَقْدَارُ تَرَوُّحِ بِنَا وَتَغْدُو
قَوافِلُ في ضَمِيرِ الغَيْبِ تَمْضِي
وَصَرْفُ الدَّهْرِ يَهْزُلُ أَوْ يَجِدُ
ونَائِحَةٌ على الأغْصَانِ تَبْكِي
كَهَاتِفَةٍ على الأغْصَانِ تَشْدُو
فلا تَعْتَبْ على الدنيا وَدَعْهَا
لَمَنْ يَبْكِي عَلَيْهَا وَهِيَ تَعْدُو

* * *

تَعَالَ إِلَى خَمِيلِ الْحَبِّ نَشْدُو
كسَالِفِ عَهْدِنَا وَالْعَيْشِ رَغْدُ
تَعَالَ فَنَحْنُ فِي دُنْيَا هَوَانَا
نَعِيشُ وَبَيْنُنَا سَبَبُ وَعَهْدُ
تَعَالَ فَلَيْسَ بَعْدَ الْحَبِّ شَيْءُ
وَلَيْسَ لِعَالَمِ الْأَشْوَاقِ حَدُ

يَدُ الْأَيَّامِ أَقْصَرُ مِنْ هَوَانَا
فَكَيْفَ تَنَالُ مِنْهُ وَهُوَ خُلِدُ
وَلَكِنَّ الظَّلَامَ إِذَا تَمَادَى
فَلَيْسَ مِنْ أَنْتَظَارِ الْفَجْرِ بُدُ
وَقَدْ يَأْتِي الصَّبَاحُ عَلَى هَوَانَا
وَقَدْ تَجْرِي الرِّيحُ كَمَا نَوْدُ



أَيُّهَا النَّدِيمُ وَيْحَكَ أَوْفَيْتَ فَمِلْ بِي عَلَى مُؤَيَسٍ وَهَاتِ
أَنَا فِي شَطِّهِ أَرَاقِبُ فَعَلَّ الدَّهْرُ فِي أَهْلِهِ وَأَرْقُبُ ذَاتِي
أَنَا فِي شَطِّهِ أَرَاجِعُ فِي سَفَرٍ وَجُودِي أَيَّامِي الْخَالِيَاتِ

رجعة الى موسى

ومويس نهير يعمر بالزقازيق كانت لنا على شطآنه ذكريات
أيام كنا فتيّة نتماطى المعرفة في معهد الزقازيق

وصلَ الرُّكْبُ يا نديمَ فهاهِ

هذه رَمَلَتِي وتلك رَبَاتِي

الرياض اللقَاءُ. والرَّفْرَفُ الخُضْرُ. وَمَغْنَى الصَّبَا. وَمَلْهَى اللَّدَاتِ
وَمَغْنَانِي عَمَاتِكَ التُّخْلُ فَرَعَاءُ صَمَوْتاً كَعَهْدِهَا قَائِمَاتِ
وَمُؤَسُّ السِّكرَانُ رَاوِيَةُ الحَبِّ وسَاقِي لُحُونِهِ التُّيَمَلَاتِ
مَعْبُدُ الرَّاهِبِ الخَلِيعِ بِسَاطُ لِلندَامَى ومَوْعِدُ لِلغَوَاةِ
العَجُوزِ الزَنْدِيقِ خِمَارَةِ الشعرِ وَعُزَّى نَدْمَانِهَا وَاللَّاتِ
خَطَرَ الفَنِّ حَوْلَهُ فَجَعَا يَسْتَغْفِرُ الحُسْنَ والعُيُونُ اللُّوَاتِي
وعلى صَدْرِهِ بَغَامُ حَنِينٍ. وعلى شَطَطِهِ عُرَامُ سَقَاةِ
أنا أيضاً من السُّقَاةِ ولي في ذلك الشَّطِّ قِصَّتِي وَرَوَاتِي

فوق هذا الثرى سَكَبْتُ مِنَ الْعُمْرِ سِنِينَ عَصَرْتُهَا مِنْ حَيَاتِي
وعلى هذه الرمالِ تناولْتُ كتابَ المأساةِ والمسلاةِ
والزمانَ المَظْمُورَ تحتَ رُبَاها بعضُ ذاتي وفيه بعضُ صفاتي
فاعذروني إذا لَوَيْتُ عَنِ الرُّكْبِ فَإِنِّي أَسِيرُ فِي ذِكْرِيَاتِي

* * *

يَا سَقَى اللهَ بِالزَقَازِقِ أَيَّامَ صَبَايَ النَوَاصِرِ العِطَرَاتِ
وسينياً كأنها طَرْفَةُ العَيْنِ خِفَافاً مَرَزَنَ كَاللَّحْظَاتِ
يَسْتَرْقِنَ الْخُطَى إِلَى شَاطِئِ النِّسْيَانِ فِي مَوْكِبِ رَهِيْبِ الصُّمَاتِ
مَنْ تُرَى أَقْفَظَ الْخَوَاطِرَ حَوْلِي وَأَثَارَ الْمَطْيُورِ مِنْ صَفْحَاتِي
وَأَعَادَ الْأَيَّامَ وَالْمَعْهَدَ السَّامِقَ مَسْرُوجَ بِالنَّجُومِ الْهُدَاةِ
الْفُحُولِ الْأَعْلَامِ أَمْثِلَةَ الزُّهْدِ وَشَيْخَانِهِ الْعُدُولِ الثَّقَاتِ
ورَفِيقِي كَأَنَّهُ هَامِشُ الشَّرْحِ إِذَا صَاتَ يَمْضِغُ الْقَافَاتِ
حَبْلِي كَأَنَّهُ الْجَمْلُ الْأَوْزُقُ صَخَابَةٌ كَثِيرُ اللَّتَاتِ
السَّرَاجُ الْعَلِيلُ يَشْهَقُ فِي مَحْرَابِهِ وَالْبَلَى يَرُوحُ وَيَأْتِي
وَنَضِيجُ مُفْلَقٍ لاذِعِ الطَّعْمَةِ يَشْوِي أَصَابِعِي وَلَهَاتِي
هُوَ زَادُ الْمَسَافِرِينَ بَلَا زَادٍ وَقُوْتُ الْمَحْتَاجِ لِلْأَقْوَاتِ
يَتَضَبَّى الْمَجَاوِرِينَ فَتَنْصَبُّ عَلَيْهِ كَالْفَاتِحِينَ الْغُزَاةِ
أَتْرَكَ الْمَتَنَ. وَاطْوِ حَاشِيَةَ السَّعْدِ. وَأَذْرِكْ شَيْخُونَ قَبْلَ الْفَوَاتِ
أَنَا مِنْ مَازِنٍ وَمَازِنٌ مِنِّي وَاللَّيَالِي الْقَمَرَاءُ مِنْ صَدْحَاتِي

* * *

أَيْهَذَا النَّدِيمُ وَنَحَاكَ أَوْفَيْتَ فَمِلْ بِي عَلَى مُؤَسِّسِ وَهَاتِ
أَنَا فِي شَطِّهِ أَرَاقِبُ فِعْلَ الدَّهْرِ فِي أَهْلِهِ وَأَرْقُبُ ذَاتِي
أَنَا فِي شَطِّهِ أَرَاجِعُ فِي سِفْرِ وُجُودِي أَيَّامِي الْخَالِيَاتِ
أَوْقِظُ الْمَاضِيَ الْبَعِيدَ وَأَخْشَى أَنْ تَغِيْمَ الْأَشْبَاحُ فِي خُلُجَاتِي
وَأَنَا الشَّاعِرُ الَّذِي زُمَزَمَ الْكَاسَ فَرَنُتُ بِهِذِهِ الْمُرْقِصَاتِ
لَيْتَ مَنْ عَقَّنِي وَأَلْحَدَ بِالشَّعْرِ يَرُدُّ الْأَحْيَادَ مِنْ خَطَرَاتِي



في زُورِقِ الأحلامِ رُؤادُ
وصلوا ضِفافَ الغيبِ أوْكَادُوا
والشوقُ بينَ رجالهم زادُ .

لَحْنٌ قَدِيمٌ

دُورُوا بها في يومها دُورُوا كادت تطيرُ بأهلِها الدُورُ
دُورُوا بها

فهي رُورِ الأحلامِ رُودُ وصلوا ضِفافَ الغيبِ أو كادوا
أحلامُهم أفرأخ وحينئُهم مَلَأخ

والشَّوقُ بين رِحالِهم زادُ ولهم بأرضِ الحبِّ ميعادُ
والحبُّ أغوارُ وأبْعادُ فيها الهوى والظلُّ والنورُ

دُورُوا بها في يومها دُورُوا

راحت بما نخشاهُ أيامُ وأتت بما نهواهُ أيامُ
يا فرحةَ الأفراخِ يا جنةَ الأرواحِ

أيامُنا والعيشُ أحلامُ وحياتُنا شعرٌ وأنغامُ
وعلى طريقِ الشوقِ أعلامُ فرحى يُرْفَرُ حولها النورُ

وَتَزْفُهَا الْوِلْدَانُ وَالْحُورُ
دُورُوا بِهَا فِي يَوْمِهَا دُورُوا



مودُ في أوابِدِهِ السَّماءِ بَعْدَ . وفي شَدَّاهَا اقْتِرابُ
حَلَبَةِ الْمُحَلَّقُ كالنُّسْرِ بَعِيداً . في شَدْوِهِ إِغْرابُ
، تَشِفُّ عن المعنى كحسَناء يَزْدَهِيهَا نِقابُ

محمود حسن اسماعيل في ذكراه الرابعة

غابَ عن روضِهِ. وطالَ الغيابُ
نازَحَ الروضِ: ما كفاكَ اغترابُ. ؟
جَفَّتِ الكاسُ يا جديِدَ المعاني، وشكا النايُ شَجْوَهُ. والرَّبابُ
وَذَرَتْ نُضْرَهُ النَّديُّ كما يَدُوي شِعاعٌ إذا تَهاوَى الشَّهابُ
شأنُ مَنْ عاقرُوا أغاريدَ محمودَ فغابُوا وهم حُضورٌ وذابُوا
وتساقفُوا على هواهُ أهازيجَ تَغْنَى بها الهوى والشبابُ
ذاكَ محمودُ في أوابِدِهِ السَّماءِ بُعْدُ. وفي شَذاها اقترابُ
شاعرُ الحَلْبَةِ المُحَلِّقُ كالنَّسْرِ بعيداً. في شَذْوِهِ إغرابُ
فنسيمٌ مُعْطَرٌ. وهجيرٌ. وظلالٌ. وَهَذَاةٌ. واضطرابُ
وضبائِيَّةٌ تَشِفُّ عن المعنى كحسنةٍ يَزْدَهِيها نِقابُ
وأفانينُ مِنْ رُؤى لا تراها العينُ لكن تَرُوْدها الألبابُ

صَوَّرَ جَادَهَا هَوَى غَلَابُ
وخيَالُ مُجَنِّحٍ وَثَابُ

وحينئَ لعالمٍ ليس يَبْدُو.. فيه شَجْوُ. وفيه جَوُّ عَجَابُ
رِيشَةُ مِنْ جَنَاحِ جَبْرِيلَ فِي كَفِّ هَتُوفٍ لُحُونُهُ مُحَرَابُ
يَسْجُدُ الْقُنْ فِي ثَرَاهَا. وَتَنْذَى خَطَرَاتُ الْهَوَى. وَتَعْنُو الرِّقَابُ
ذَلِكَ مَحْمُودُ. مَا لِمَحْمُودٍ أُنْدَاءُ. وَلَكِنَّمَا لَهُ أَحْبَابُ
جَمَعَتُهُمْ فِي حَانَةِ الشَّعْرِ أَقْدَاحُ وَرَاحُ رَاوُوقُهَا مِطْرَابُ

* * *

لَسْتُ أَنْسَى أَيَّامَنَا مِنْذُ كُنَّا. حَيْثُ كَانَ الصَّبَا وَكَانَ الشَّبَابُ
وَاللَّيَالِي كَمَا عَهْدَنَا وَضَاءُ. وَالْأَمَانِي كَمَا رَجَوْنَا عَذَابُ
وَدِنَانُ الزَّمَانِ تَفْهَقُ بِالشَّعْرِ وَتَدْعُو لِكَاسِيهِ مَنْ أَنْابُوا
وَتَرَاتِيلُ شَاعِرِ الْكَوْخِ فِي الْحَانَةِ شَوْقٌ لَشَوْقِهِ وَلَهَابُ
فَانتَشَى الشَّرْبُ، وَالتَّدَامَى. وَطَابَتْ لِحَظَاتُ اللَّقَا. وَطَابَ الشَّرَابُ

* * *

أَيْنَ تِلْكَ الْأَيَّامُ يَا سَاقِي الشَّعْرِ. وَأَيْنَ الرَّأوُوقُ وَالْأَكْوَابُ
أَيْنَ أَيَّامُنَا. وَأَيْنَ لَيَالِينَا. وَأَيْنَ الرِّفَاقُ وَالْأَصْحَابُ
سَبَقُونَا لِعَالَمٍ لَيْسَ فِيهِ نَزَوَاتٌ وَلَيْسَ فِيهِ اخْتِرَابُ
إِلَيْهِ مَحْمُودُ. مَا قَضَيْتُ وَمَا زَالَ شَجِيئاً هُتَافُكَ الْخَلَائِبُ
أَنْتَ فِي عَالَمِ الْبَقَاءِ مُقِيمٌ. لَيْسَ فِي تَرْبِهَا عَلَيْكَ حِجَابُ
أَنْتَ رُوحٌ مُجَنِّحٌ. رَائِعُ الشُّدُو. مُحَالٌ أَنْ يَحْتَوِيكَ التُّرَابُ



ولقد ساءلتُ نفسي كلَّ صبحٍ ومساءٍ
عالمٌ تصطدمُ الوحشةُ فيه بالفناء
أفرغَ العقلُ عليه فهو فنٌّ ورَّواء
إنْ يَكُنْ تقويضُهُ حتمًا فلمْ كانَ البناءُ
ولماذا بَعْدَ عُمُرِ الأرضِ في هذا العناء

خُمَاسِيَّات

وَرَاءَ خُطَى اللَّيْلِ . .

هَذَا الْكَوْنُ وَأَضْفَى اللَّيْلُ ثَوْبَ الظُّلُمَاتِ
 سَاكِنًا إِلَّا بِصِيصًا مِنْ نَجُومٍ خَافَقَاتٍ
 تَرْسُلُ الضُّوْءَ كَجَوَابٍ ضَعِيفٍ الْخَطَوَاتِ
 يَغْبُرُ الدَّهْرَ إِلَى الْمَجْهُولِ مِنْ تِيهِ الْحَيَاةِ
 كَالصُّدَى الْغَامِضِ. أَوْ كَالطُّيْفِ، أَوْ كَالْهَمَسَاتِ
 هَذَا الْكَوْنُ فَمَا لِلْكَوْنِ دُونَ النُّبْضِ حِسُّ
 وَغَطِيطِ النَّهْرِ خُلْمٌ. وَحَدِيثُ الرِّيحِ هَمْسٌ
 وَالْأَوَاذِيُّ عَلَى الشَّاطِئِ تَرْبِيتٌ وَلَمْسٌ
 هُذْنَةٌ لِلْكَوْنِ مِنْ حَرْبٍ عَلَى الْأَكْوَانِ تَقْسُو
 رَكْبَتِ زُورَقِ ظُلُمَاءٍ عَلَى الْفَجْرِ سَيْرُسُو

* * *

هَذَا الْكَوْنُ فَمَا لِي قَدْ طَغَى تَيَّارُ فِكْرِي
يَعْصِفُ الشُّكُّ بِهِ حَتَّى عَلَى الشُّكِّ وَيُغْرِي
لَا تَلُمُ حَرَّانَ دَاوَى لَذَعَةَ الْجَمْرِ بِجَمْرِ
لَوْحِ الْوَهْمِ لَهُ فَانْسَابَ فَوْقَ الشُّوْكِ يَجْرِي
أَضْلَالُ أَمْ هُدَى مَا نَحْنُ فِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
أَهْ لَوْ يَكْشِفُ عَنْ مَخْبِئِهِ سِرُّ الْحَيَاةِ
إِنِّي ظِمَانٌ .. ظِمَانٌ عَلَى وَرْدِ الْمِيَاهِ
إِنِّي حَيْرَانٌ .. حَيْرَانٌ تَرْدَى فِي أَسَاهِ
لَيْسَ يَشْفِينِي سُكُوتِي . لَا ... وَلَا تُجْدِي الشُّكَاةُ
وَطَرِيقُ الشُّكِّ دُونِي لَسْتُ أَدْرِي مُنْتَهَاهُ

* * *

تَائِهَةٌ طَالَ سُرَاهُ فِي مَجَاهِيلِ الْعُصُرِ
جَامِدُ الْوَجْهِ، خَفِيفُ الْخَطْوِ، يَجْتَازُ الْقَدْرَ
كُلَّمَا شَاخَ وَأَوْهَى شَرْنَحَهُ شَيْبُ السَّحَرِ
ذَابَ فِي الْفَجْرِ. وَأَلْقَى السِّيفَ فِي صَمْتٍ وَفَرَّ
أَيْنَ يَا لَيْلُ بِنَا تَمْضِي لَقَدْ طَالَ السُّفَرُ
مَا لِهَذَا اللَّيْلِ لَا يَنْفُكُ عَنْ هَذَا الرَّحِيلِ
دَائِباً يَنْتَهَبُ الْأَجْيَالُ جَيْلاً بَعْدَ جَيْلٍ
يُفْسَحُ الدُّنْيَا لَكُونٍ مُقْبِلٍ جَمَّ الْفُضُولِ
ثُمَّ يَطْوِيهِ لَكُونٍ آخِرٍ عَمَّا قَلِيلٍ

قِصَّةُ الدُّنْيَا الْمُنَايَا، وَلِيَالِهَا الْفُصُولُ

* * *

قِصَّةُ طَالَتْ وَلَمَّا يُسْدِلِ الدَّهْرُ السُّتَارُ
لَحْضَتْ دُنْيَاكَ فِي كَرِّ اللَّيَالِي وَالنَّهَارِ
وَرَحَاهَا أَيْسَ دَارَتْ شَمَّرَ الْمَوْتُ وَدَارَ
قِفْ عَلَى الشَّاطِئِ وَانْظُرْ كَيْفَ يَتَنَالُ الدَّمَارُ
لَكَأَنَّ اللَّيْلَ جَيْشٌ وَالدِّيَاجِيرُ الْغُبَارُ
أَتَرَى الْبَدْرَ ضَلِيلًا؟ هَلْ رَأَيْتَ الشُّهْبَ حَيْرَى؟
تَذَرُعُ الْأَفَقَ ثَقِيلَاتِ الْخُطَى شِبْرًا فَشِبْرًا
سَائِمَاتٍ فِي الْفِيَا فِي تَأْكُلُ الْأَجَالَ جَهْرًا
فَإِذَا صَاحَ بِهَا الدِّيكُ مَضَتْ تَأْكُلُ سِرًّا
لَيْسَتْ الْأَعْمَارُ إِلَّا لَيْلَةٌ تَمْضِي وَأُخْرَى

* * *

لَيْلَةٌ تَلُكُ الَّتِي أَطْلَعَهَا الْغَيْبُ وَرَاحَتْ
وَنَعَاهَا الدِّيكُ وَاسْتَبَكَّى التُّدَى حَتَّى تَوَارَتْ
أَيْنَ رَاحَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ؟ بَلْ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ
مَا الَّذِي يَنْقُصُ عُمَرَ الْكَوْنِ وَلَيْتَ أَوْ أَقَامَتْ
إِنَّهَا الْأَيَّامُ دَارَتْ. إِنَّهَا السَّاعَةُ حَانَتْ
إِيَّاهُ يَا دُنْيَا رَوِيدًا.. لَا. بَلْ امْضِي سَاحِرَةً
إِنَّمَا نَحْنُ نِيَامُ فِي سَفِينٍ مَاحِرَةٍ

تُرِكَتْ دَفْتُهَا نَهَبَ السُّوَافِي الشَّائِرَةُ
فَمَضَتْ بَيْنَ صَخُورِ الْغَيْبِ تَجْرِي عَابِرَةً
أَتَرَى «جُودِيَّهَا» غَيْرُ صَخُورِ الْآخِرَةِ

* * *

هَلْ رَأَيْتَ الرَّاكِضَ الْمَجْنُونِ يَعْدُو خَلْفَ ظِلِّهِ
جَاهِداً يَسْبِقُهُ الظِّلُّ وَيُغْرِيبُهُ بِنَزْلِهِ
هُوَ مِنْهُ خَطْوَةٌ لَكِنِّهَا كَالْكُونِ كُلِّهِ
هَكَذَا الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا ضَلِيلًا خَلْفَ عَقْلِهِ
كَلِمَا اِزْدَادَ عِلْماً زَادَ إِيقَاناً بِجَهْلِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا كِتَابٌ وَبَنُو الدُّنْيَا سَطُورُ
دَفَّتَاهُ سَاعَةُ الْمِيلَادِ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ
تَقْرَأُ الْآيَامَ فِيهِ قِصَّةُ الْكُونِ الْكَبِيرُ
كَلِّمْنَا مَرَّتْ عَلَى سَطْرِ وَعْتِهِ فِي الضَّمِيرِ
وَمَضَتْ تَمْحُوهُ لَا يُمَهِّلُهَا وَخُدَّ الدَّهْورُ

* * *

سُبْحَةَ فِي كَفِّ شَيْخٍ رَاهِبٍ بِالمَوْتِ يُغْرِيبُ
كَلِّمْنَا سُبْحَ مَرَّتْ حَبَّةً فِي الْغَيْبِ تَجْرِي
مَا الَّذِي أَبْقَاهُ مِنْ حَبَّاتِهَا. لَيْتَكَ تَذَرِي
أَيُّهَا الشَّيْخُ رَوِيداً إِنَّنِي فِي الْمَوْتِ غَيْرِي
هَذِهِ الْحَبَّاتُ فِي كَفِّ الرُّدَى سَاعَاتُ عُمْرِي

كانت الدنيا قِفَاراً والليالي مُضَجِرَاتُ
تَنَعَبُ الوحشةُ فيها وتغولُ الظلماتُ
والأساطيرُ بها مِنْ قوَّةِ الجهلِ حياةُ
حَلُمْتُ حتى أفاقْتُ ونأى عنها السُّبَاتُ
فإذا الموجُ فَجِيحٌ، والسُّوافي صَرَخَاتُ

* * *

مَنْ تُرى أَنشأَ ذاكَ الروضَ مِنْ تلكَ القِفَارِ
سلَّطَ العلمَ على الجوِّ وأزرى بالبحارِ
ومضى في الأرضِ يَسْتَعِدِّي على الأرضِ البُخَارِ
قد طواها فهو ريحٌ واختاها فهو نازِ
سَعَرَ في قُوَّةِ الإنسانِ يَشْفِيهِ السُّعَارِ
تَخَذَ السُّلُوكَ رسولاً وامتطى البرقَ وهماً
يَنخُلُ العالَمَ في تفكيرِهِ والبحثِ عَمَّا
كلُّ يومٍ بجديدٍ مُعْجَزٍ يُضْنِيكَ فَهَمَّا
قد أتى بالسُّحْرِ والبحثِ فَطِيرٌ لم يَتَمَّا
إنني أسألُ ماذا يَصْبِحُ العالَمُ لَمَّا

* * *

عندما يأخذُ كلُّ الكونِ تفكيرُ البشرِ
لم يَدْعُ في الأرضِ شِبْراً لم تُقَلِّبُهُ الفِكرُ
هَبْهُ طَالَ النُّجْمُ في العلياءِ أو جازَ القَمَرُ

وَتَحْدَى قُوَّةَ الدُّنْيَا وَأَزْرَى بِالْغَيْرِ
ثَمْرُ طَابَ فَمَاذَا بَعْدَ أَنْ طَابَ الثَّمَرُ
وَلَقَدْ سَاءَلْتُ نَفْسِي كُلَّ صَبْحٍ وَمَسَاءٍ
عَالَمٌ تَصْطَلِمُ الْوَحْشَةَ فِيهِ بِالْفَنَاءِ
أَفْرِغِ الْعَقْلُ عَلَيْهِ فَهُوَ فَنٌّ وَزَوَاءُ
إِنْ يَكُنْ تَقْوِيضُهُ حَتْمًا فَلِمَ كَانَ الْبِنَاءُ
وَلِمَاذَا بَعْدَ عُمُرِ الْأَرْضِ فِي هَذَا الْعَنَاءِ

* * *

ضِلَّةٌ لِلْعَقْلِ مَخْذُورًا غَرِيقًا فِي الْخُمَارِ
وَجَدَ الْعَالَمَ أَشْوَكَاءَ وَنَارًا خَلْفَ نَارِ
فَمَشَى فَوْقَ اللَّهْيَبِ الْجَاحِمِ الْمَسْعُورِ عَارِي
هَائِمًا يَغْمُرُ فِي الدُّنْيَا بِأَسْبَابِ الدَّمَارِ
رَبَّمَا كَانَ خَرَابُ الْكَوْنِ فِي هَذَا الْعَمَارِ
أَصْحِيحُ أَنْ قَوْمًا أَدْرَكُوا سِرَّ الْحَيَاةِ
وَبَحَقِّ أَدْرَكُوهُ أَمْ أَتَوْا بِالنُّزْهَاتِ
أَفْتَوْا الْعُمَرَ جَدَالًا فِي أُمُورِ بَاطِلَاتِ
سَكَبُوا فِي هَامِشِ الْكَوْنِ دِمَاءَ الشَّبَهَاتِ
ثُمَّ رَاحُوا وَكُتِبَ الْكَوْنُ بِكُرِّ الصَّفْحَاتِ



هيه يا أول الطريق من العام يميناً فنهتدي أم شمالاً
أي شيء صورته حين صوّرت من الثور جابةً وسؤالاً

هَلَالُ الْمُحَرَّمِ

عَادَ بَعْدَ الثَّوَى وَأَلْقَى الرُّحَالَا

صَامَتْ قَامَ يَخْطُبُ الْأَجْيَالَا

وَشَهِدَ عَلَى الزَّمَانِ قَدِيمٌ. كَالزَّمَانِ الْقَدِيمِ. يَأْبَى الزُّوَالَا

وَكَأَنَّ الظَّلَامَ حَوْلَ مَرَاثِيهِ غُبَارُ الدَّهْوَرِ مَرَّتْ ثَقَالَا

وَالزَّمَانُ الْعَجُوزُ دَاهِيَةٌ يَرْتَجِلُ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ارْتَجَالَا

وَالزَّمَانُ الْعَنِيدُ أَحْمَقُ يَرْتَادُ الْمَنِيَا وَيَرْكَبُ الْأَهْوَالَا

وَالزَّمَانُ الْعَجِيبُ أُسْطُورَةٌ يَنْسِجُهَا الْوَهْمُ لِلْوُجُودِ خِيَالَا

صَامَتْ قَامَ يَخْطُبُ الْأَجْيَالَا

وَدَّ لَوْ تَرَجَّمَ الضِّيَاءُ مَقَالَا

وَبَوَاكِيْرٌ مِنْ سَنَاءٍ تَهَادَى، كَتَبَاشِيرٌ مِنْ رَجَاءٍ تَلَالَا

خَطُّهُ الْغَيْبُ فِي السَّمَوَاتِ سَطْرًا. وَهَمَّ النَّاسُ إِذْ دَعَا هَلَالَا

هو هَمَسٌ في خاطر الكون مشبوبٌ يَقْصُ التاريخ والأبطلا
هو فنٌّ على السماء. ومعنى كالمعاني. وهجرة تتوالى
هو شيءٌ غيرُ الأهاليل يُوي كلَّ عامٍ فيُوقِظُ الأمالا
خِنْجَرٌ في يَدِ المحرَّمِ مَسْلُوكٌ على عالمٍ يَضِجُ خبالا
قد لَوَاهُ الطَّعَانُ في لَجَبِ الدهرِ وعُنفُ الطعانِ يَلْوِي النُّصَلا

* * *

هيه يا أَوَّلَ الطريقِ من العامِ يميناً فنَهتدي أم شمالا
أي شيءٍ صَوْرَتُهُ حين صَوَّرَتْ من الثَّورِ جابَةً وسؤالاً
أُتَرَانَا على الطريقِ أم انْبَثَّتْ بنا السُّبُلُ وانتحرنا جدالا
وخرجنا إلى الحياةِ مَنَاكِيلَ نُجِيدُ الثَّوَاخَ والأعوالا
وقَبَعْنَا من المعاركِ بالوصفِ وخَضْنَا غِمَارَهَا أقوالا
وَنَصَبْنَا لكلِّ سَاعٍ شراكا. وملأنا طريقَهُ أوحالا
واحتمينا من الحقائق بالجهلِ وسرنا وراءه أشكالا
الذي صار عند قومٍ حراماً كان في يومه القريب حلالا
ضِلَّةٌ لِلْجَاجِ يَخْتَلُ قومي ويُريهم أقوالهم أعمالا

* * *

يا هلالاً في مطلع العامِ أُلْهُوباً يسوقُ الأيامَ وهي كُنَالِي
هَاتِ من ذكرياتِ يومك يوماً يَفْرَعُ الغافلين والجُهَّلا
وأَعِدْ قِصَّةَ الخلودِ على العالمِ واضربْ فُصُولَهَا أمثالا
هي ميراثُ أمةٍ غَالَهَا الخُلْفُ وصاغَتْ من جهلها أغلالا

قصةٌ، ترسُمُ البطولةُ في أحداثها العَزمَ صامراً والنضالاً
قصةُ الرأيِ حينَ تَجَحَّدُهُ الأرضُ عِناداً من حمقها أو ضلّالاً
قصةُ تُلْهِمُ التأملَ مَسْرَاهُ وتُضْفِي على الوجودِ جلالاً
ما نظمْتُ التاريخَ فيها ولكني ضربْتُ التاريخَ فيها مثلاً



وَمِنْ صَلَاتِي بِكَ دَمْعُ الْمَعْدَرَةِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ فَفَقِيمَ الْمَغْفَرَةِ

طاعةُ المعصية

أَنشَأَتْ نَسْراً وَخَلَقَتْ قُبْرَةً
وَصُفَّتْ ظَبِيّاً وَارْتَجَلَتْ قَسْوَرَةً
تَنَاحُرُ الْبَقَاءِ فِي هَذَا الشُّرَةِ
مَجْزَرَةً فِي الدَّهْرِ أَيُّ مَجْزَرَةٍ
فَمَنْ أَتَاكَ الْكَوْنُ تِلْكَ السَّيْطَرَةُ
وَمَنْ أَمَدَّهُ بِتِلْكَ الْمَقْدَرَةِ
وَالذَّنْبُ يَا رَبِّاهُ مَنْ ذَا صَوْرَةٍ
مَنْ قَالَ كُنْ ذَنْباً وَمَنْ ذَا قَدْرَةٍ
قَدْ جُئْتُهِ عَمداً لِكَيْمَا تَغْفِرَهُ
وَمِنْ صَلَاتِي بِكَ دَمْعُ الْمَعْدَرَةِ
إِنَّ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ فَفَيْمَ الْمَغْفِرَةِ

* * *

إِنْ عَبْدَ النَّاسِكُ مَا شَوْقَتُهُ
أَوْ رَهَبَ الرَّاهِبِ مَا خَوْفَتُهُ
فَقَدْ عَبْدْتُ فِيكَ مَا قَدَّرْتُهُ
أَرَدْتُ يَا رَبِّي مَا أَرَدْتُهُ
فَمَا الَّذِي أَجْرَمَ مَنْ نَحْنُهُ
مِنْ صَخْرَةِ الْإِثْمِ الَّذِي جَبَلْتُهُ
وَأَنْ أَكُنْ عَصِيثُ مَا أَمَرْتُهُ
فَلِإِنِّي أَطَعْتُ مَا أَبْرَمْتُهُ
أَيُخْرِجُ الْعَبْدُ عَلَى مَا شَتَّتُهُ

* * *

عِصْيَاتِي الطَّاعَاتِ إِنْ أَسَأْتُ
كَطَاعَةِ الْعِصْيَانِ إِنْ أَحْسَنْتُ
رُحْمَاكَ يَا رَبِّي فَإِنِّي حَرْتُ



على قلبي وضعتُ يدا ونحوك قد ممدتُ يدا
وليس يضيقُ بأبك بي فكيف تَلُودُ مَنْ وَرَدَا

لِغَيْرُكَ مَا مَدَدْتُ يَدَا (١)

لِغَيْرُكَ مَا مَدَدْتُ يَدَا وَغَيْرُكَ لَا يَفِيضُ نَدَى
وَلَيْسَ يَضِيقُ بِأَبْكَ بِي فَكَيْفَ تَسْرُدُ مَنْ قَصَدَا
وَرُكْنُكَ لَمْ يَزَلْ صَمَدَا فَكَيْفَ تَدُوذُ مَنْ وَرَدَا
وَلَطْفُكَ يَا خَفِيَّ اللَّطَفِ فَبِإِنْ عَادِي الزَّمَانِ عَدَا

* * *

عَلَى قَلْبِي وَضَعْتُ يَدَا وَنَحْوَكَ قَدْ مَدَدْتُ يَدَا
سَرَى لَيْلِي بِغَيْرِ هُدَى وَلَا أُدْرِى لِأَيِّ مَدَى
يُطَارِدُنِي الْأَسَى أَبَدَا وَيَرْعَانِي الْجَوَى أَبَدَا
وَيَنْشُرُ فِي الْهَوَى رَوْحاً وَيَطْرِينِي الْهَوَى جَسَدَا

(١) موسيقى وألحان كمال الطويل وعناء أم كلثوم

وَأَطْوِي الْيَدَ طَاوِيَةً كَأَنِّي فِي الْفَضَاءِ صَدَى

* * *

نَهَارِي وَالْهَجِيرُ لَظَى وَلَيْلِي وَالظَّلَامُ رَدَى
فَوَاكِبِدَا إِذَا أَضْحَى وَإِنْ أَمْسَى فَوَاكِبِدَا
وَلَيْسَ سَوَاكَ لِي سَنَدٌ فَقَدْتُ الْأَهْلَ وَالسَّنَدَا



ولمّا طواني الدُّجى والجوى
لَقِيْتُ الهوى وعرفتُ الهوى

حانةُ الأقدار^(١).

حانةُ الأقدارِ
عربدتُ فيها. لياليها
ودار الثُّورُ
والهوى صاحي

* * *

هذه الأزهارُ
كيف نسقيها. وساقِها
بها مخمورُ
كيف يا صاحٍ

* * *

(١) موسيقى وألحان محمد الموجي، وعناء أم كلثوم

سَأَلْتُ عَنْ الْحُبِّ أَهْلَ الْهَوَى
 سُقَاةَ الدَّمُوعِ نَدَامَى الْجَوَى
 فَقَالُوا حَنَانُكَ مِنْ شَجْوِهِ
 وَمَنْ جَلَّهْ بِكَ أَوْ لَهْوِهِ
 وَمَنْ كَذَرَ اللَّيْلِ أَوْ صَفْوِهِ
 سَلِي الطَّيْرَ إِنْ شَتَّ عَنْ شَدْوِهِ
 فِي شَدْوِهِ هَمَسَاتُ الْهَوَى
 وَبَرَّحُ الْحَنِينِ وَشَرُّ الْجَوَى

* * *

وَرَحْتُ إِلَى الطَّيْرِ أَشْكُو الْهَوَى
 وَأَسْأَلُهُ سِرَّ ذَاكَ الْجَوَى
 فَقَالَ حَنَانُكَ مِنْ جَمْرِهِ
 وَمِنْ صَحْوِ سَاقِيهِ أَوْ سُكْرِهِ
 وَمِنْ نَهْيِهِ فَيْكَ أَوْ أَمْرِهِ
 سَلِي اللَّيْلَ إِنْ شَتَّ عَنْ سِرِّهِ
 فِي اللَّيْلِ يُبْعَثُ أَهْلُ الْهَوَى
 وَفِي اللَّيْلِ يَكْمُنُ سِرُّ الْجَوَى

* * *

وَلَمَّا طَوَّانِي الدُّجَى وَالْجَوَى
 لَقِيتُ الْهَوَى وَعَرَفْتُ الْهَوَى

ففي حانة الليل خماره
وتلك النجيمات سماره
وتحت خيام الدجى ناره
وهمس النساء أسرارَه
وفي كل شيء يلوح الهوى
ولكن لمن ذاق طعم الهوى



يَهْوُنُ عَذَابُ الْجِسْمِ وَالرُّوحُ سَالِمٌ
فَكَيْفَ وَرُوحُ الْمُسْتَهَامِ جَرُوحُ
وَلَيْسَ الَّذِي يَشْكُو الصَّبَابَةَ عَاشِقًا
وَمَا كُلُّ بَاكِ فِي الْغَرَامِ قَرِيحُ

يَقُولُونَ لِي غَنِّي (١)

غريبٌ على بابِ الرجاءِ طريقُ
يناديكَ موصولَ الجوى وينوحُ
يَهُونُ عذابُ الجسمِ والروحِ سالمٌ
فكيفَ روحُ المستهامِ جروحُ
وليس الذي يشكو الصبابةَ عاشقاً
وما كلُّ باكٍ في الغرامِ قريحُ
يقولون لي غَنِّي وبالقلبِ لوعةُ
أُغَنِّي بها في خلوتي وأنوحُ
ولي في طريقِ الشوقِ والليلِ هائمٌ
ولي في مقامِ الوجدِ حالٌ ولوعةُ

(١) من أغاني رابعة العدوية. ألحان كمال الطويل. وغناء أم كلثوم

مَعَالِمُ تَخْفَى تَارَةً وَتَلُوْحُ
وَدَمْعُ أَدَارِي فِي الْهَوَى وَيُؤْوِ
وَأَنْتَ وَجُودِي فِي شَهُودِي وَغَيْبِي
وَسُرُّكَ نَوْرُ النُّورِ. أَوْ هُوَ رُوحُ
وَمَا رَحَلْتُ إِلَّا إِلَيْكَ مُوَاجِدِي
وَدَاعِي الْهَوَى بِالسَّوَالِهِينَ يَصِيحُ
بِسِرِّ الْهَوَى يَغْدُو فِيهِ يَرُوحُ
غَرِيبٌ عَلَى بَابِ الرَّجَاءِ طَرِيقُ



حَيَايِ مِنْكَ يُتَعِدُّنِي وداعي الشوقِ يُذْنِني
وَوَجْهُ الصُّفْحِ يُخْجِلُنِي ويقتلني ويُخَيِّنِي

في بحار الندم^(١)

على عيني بكث عيني على رُوحِي جَنَتْ رُوحِي
هواك وبُعْدُ ما بَيْنِي وَبَيْنَكَ سِرٌّ تَبْرِيحِي

على عيني

على رُوحِي

فياغوثة ياغوثة

وَمِنْ طُولِ التَّوَى أَوَّاهُ

وَأَهْ آه

صَحَابِمِنْ شَجْوِهِ كَأْسِي وَقَدْ نَامَ الْخَلِيُونَا

فَكَيْفَ أَفِرُّ مِنْ نَفْسِي إِذَا هَامَ الْمُحِبُّونَا

على نفسي

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي . وغناء أم كلثوم .

جَنَّتْ نَفْسِي
فِيَا وَيْلَاهُ يَا وَيْلَاهُ
وَمِنْ طَوْلِ النَّوَى أَوَّاهُ
وَأَاهُ آهُ
حَيَايِي مِنْكَ يُبْعِدُنِي وَدَاعِي الشُّوقِ يُذْنِبُنِي
وَوَجْهُ الصُّفْحِ يُخْجَلُنِي وَيَقْتُلُنِي وَيُحْيِيُنِي
وَأَيَّامِي
تُقَاضِيُنِي
عَلَى مَا كَانَ يَا أَسْفَاهُ
وَمِنْ طَوْلِ النَّوَى أَوَّاهُ
وَأَاهُ آهُ
خَلَوْتُ إِلَيْكَ يَا رَبِّي وَقَلْتُ عَسَاكَ تَقْبَلُنِي
فَمَا بَالِي أَرَى ذَنْبِي وَأَيْسَامِي تُطَارِدُنِي
مَدَدْتُ يَدِي
فَخُذْ بِيَدِي
إِلَيْكَ وَمَنْكَ يَا رَبَّاهُ
وَمِنْ طَوْلِ النَّوَى أَرَّاهُ
وَأَاهُ آهُ



في كأس عُمري بقايا مَنْ يُشارِبُنِي
وَمَنْ يُطارِحُنِي والعيشُ ربحانُ

صُحْبَةُ الرَّاحِ (١)

يا صُحْبَةُ الرَّاحِ: أَهْلُ الرَّاحِ هَلْ حَانُوا
وَهَلْ تَغَنَّتْ عَلَى أَيَّامِهَا الْحَانُ
صَبَا النَّدَامَى وَمَا فِي الْحَانِ أَلْحَانُ

* * *

فِي كَأْسِ عَمْرِي بَقَايَا مَنْ يُشَارِبُنِي
وَمَنْ يُطَارِحُنِي وَالْعَيْشُ رَيْحَانُ
ثُمَالَةٌ مِنْ دَمْعِ الشَّجْوِ أَلْوَانُ
إِبْرِيقُهَا رَاحَ يَبْكِي وَهُوَ فَرَحَانُ
ثُمَالَةٌ آهَ لَوْ فَاضَتْ. وَآهَ إِذَا

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي. وغناء أم كلثوم

غاضت. وواها لها والقلب لهفان
عهدي بها وكؤس الصفر مترعة
بهن طاف على السكرى سُكران
لا يشربُ الراخ إلا أنه ثمل
نشوان والكأس في كفيه نشوان

* * *

تُرى تعودُ الليالي والهوى معنا
يا غربة الكاس ما للكاس ندمان



ولستُ على الشَّجْو أشكو الهوى
رضيْتُ بما شئتُ لي في هواكَا

أَحْبُكَ حُبِّين^(١)

عرفتُ الهوى مُدَّ عرفتُ هواكا
وأغلقْتُ قلبي عَمَّنْ عداكا
وقمْتُ أناجيكَ يا مَنْ ترى
خفايا القلوبِ وَلَسْنَا نراكا
(أحُبُّكَ حُبِّين: حُبُّ الهوى
وحباً لأنك أهلٌ لذاكا)^(٢)
(فأما الذي هو حُبُّ الهوى
فَشُغْلِي بذكركَ عَمَّنْ سِواكا)

(١) موسيقى وألحان رياض السنباطي . وغناء أم كلثوم .
(٢) الأبيات الأربعة الواقعة بين الأقواس من شعر السيدة رابعة .

(وأما الذي أنت أهل له
فَكَشَّفَكَ لي الحُجْبَ حتى أراكا)
(فلا الحمدُ في ذا ولا ذاك لي
ولكنْ لك الحمدُ في ذا وذاكا)

* * *

واشتاقُ شوقين: شَوْقَ النَّوى
وشوقاً لِقُرْبِ الخُطَى مِنْ حماكا
فأما الذي هو شَوْقُ النَّوى
فَمَسْرَى الدُّموعِ لَطولِ نواكا
وأما اشتياقي لِقُرْبِ الجِمْى
فنازُ حِياةٍ خَبِثَ في ضياكا
ولستُ على الشُّجْوِ أَشكو الهوى
رَضِيتُ بما شئتُ لي في هواكا



تَعْلَمْتُ مَعْنَى أَنْ تَسِيرَ بِمَشْعَلِ
يَشْقُ غُبَارَ اللَّيْلِ مَعْتَمُ
فِيهِدِي حَيَارَى طَال فِي الدُّرْبِ سَيْرُهُمْ
وَبَاتُوا عَلَى سَفْحِ الْأَمَانِي وَخَيَّمُوا

كُنْتُ مُعَلِّمًا

ألقيت في الحفل الذي أقامته نقابة المهن
التعليمية يوم السبت الأول من أكتوبر ١٩٧٦
لتكريم الشاعر باعتباره واحداً من الرواد
الأوائل الذين كرمتهم الدولة في هذا اليوم..
يوم المعلم.

ترنم حاديههم فهل فيك منعم؟
وأقدم ناديمهم فهل أنت مُقدم
ألسك ترى أعلامهم كعلومهم
مصاييح من نور الهداية تُنظّم
تحف بها الأضواء من كل جانب
ألسك ترى. أم أنت غافٍ مُهوّم

فقلت: أرى. والعينُ توهم مَنْ يرى
 ذكاءً فَدَعْنِي إِنْسِي أَتَوْهُمْ
 مواكبُ في طهر الملائك أغربُ
 معالُها عني فساءتْ عنهمو
 لمن هذه الأعلامُ تَخْفُقُ بالسَّنا
 وما ذلك الحشدُ الكبيرُ المكرُّمُ
 سألتُ. فقالوا: يا لَكَ اللَّهُ. هذه
 مشاعلُ يومٍ للمعلم يُرْسَمُ
 وتلك الحُفُوفُ الرَّاحِفاتُ مواكبا
 هي الحشدُ. وهي المجدُّ. وهي المعلمُ
 فقلتُ خذوني حادياً في ركابهم
 فإني - وإنْ باعَدْتُ - يا قوم منهمو
 خذوني أغنيهم وأنثر عندهم
 خواطر مَنَسِيَّ يَحِنُّ إليهمو
 ويذكرُ أيامَ الشباب الذي مضى
 فيأسى على أيامه ويُرحمُ
 ويذكر أحلاماً قطعنا طريقها
 على الشوك لا نشكو ولا نَتَبَرَّمُ
 ونشرِبها رَنَقاً. ونرضى بشرِبها
 وتَحْلُو لنا أيماننا وهي علقمُ

وَنَسْقِي غِرَاسَ الْجِيلِ ذَوْبَ قُلُوبِنَا
وَنَجْنِيهِ حَباً طَيِّبَ الشُّرِّ يَفْغَمُ
وَمَا زَالِ عِنْدِي ذَكْرِيَّاتٌ عَزِيزَةٌ
عَزَازَةٌ مَنْ عَانُوا وَلَمْ يَتَأَلَّمُوا
كَرَارِيسُ يُفْنِي اللَّيْلَ تَصْحِيحُ بَعْضِهَا
وَدَفْتَرُ تَحْضِيرِ يُبِينُ وَيُعْجَمُ
وَمَا زَالِ فِي سَمْعِي صَدَى جَرَسِ لَهُمْ
يَدُقُّ قَيْسِدِي . أَوْ يَدُقُّ فَيَخْتَمُ
إِذَا مَا دَعَا لِلدَّرْسِ بَاكَرَ فَتِيَّةٍ
كَأَفْرَاحِ طَيْرٍ حَوْلَ وَرْدٍ تُحَوِّمُ
لِإِنْ لِمَحُونِي دَاخِلًا صَاخَ صَائِحُ
قِيَامًا . فَقَامُوا . وَاسْتَقَامُوا . وَعَظَّمُوا
وَتِلْكَ لَعَمْرُ الْأَرِيحِيَّةِ لِمَحَّةٍ
مِنْ الصَّدَقِ وَالْعِرْفَانِ تُوحِي وَتُلْهِمُ

* * *

وَأَشْهَدُ أَنِّي قَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُمْ
لَقَدْ كُنْتُ أَيْضاً مِنْهُمْ أَتَعَلَّمُ
تَعَلَّمْتُ مَعْنَى أَنْ يُضَحِّيَ بِنَفْسِهِ
شَهِيدٌ لِيَبْقَى لِلصَّبَاحِ التَّبَسُّمُ

تَعْلَمْتُ مَعْنَى أَنْ يَعِيشَ لغيرِهِ
 ذَوُوبٌ لِيُغْنِي غَيْرُهُ وَهُوَ مُعْدِمٌ
 تَعْلَمْتُ مَعْنَى أَنْ تَسِيرَ بِمَشْعَلٍ
 يَشُقُّ غَبَارَ اللَّيْلِ وَالْدَّرْبُ مُعْتَمٌ
 فَيَهْدِي حَيَارَى طَالَ فِي الدَّرْبِ سَيْرُهُمْ
 وَبَاتُوا عَلَى سَفْحِ الْأَمَانِي وَخَيُّمُوا
 وَبَفَتْحِ آفَاقِ الْحَيَاةِ رَحِيبَةً
 وَيَدْعُو إِلَيْهَا مَنْ أَشَاحُوا وَأَحْجَمُوا
 وَأَدْرَكْتُ أَنَّ الْمَرْءَ حَيْثُ نَصَابُهُ
 مِنْ الْعَمَلِ الْبَاقِي أَتَمُّ وَأَحْكَمُ
 وَأَقْسَمُ إِنِّي مَا عَرَفْتُ حَقِيقَتِي
 وَلَا كُنْتُ إِلَّا حِينَ كُنْتُ أَعْلَمُ
 كَذَلِكَ يَعْلُو بِالْمَعْلَمِ قَدْرُهُ
 وَيَكْبُرُ فِي عَيْنِ الزَّمَانِ وَيَعْظُمُ
 وَيَسْمُو عَلَى آلَامِهِ بَيْنَ مَعْشَرٍ
 يَكْدُ لِيَرْتَاحُوا وَيَشْقَى لِيَنْعَمُوا
 هُوَ الرَّائِدُ السَّاقِي يَوْزُغُ نَفْسَهُ
 عَلَى أَنْفَسٍ عَطَشَى وَيُعْطِي وَيَقْسِمُ
 وَلَمْ أَرْ فِي الْمُعْطِينَ مِثْلَ عَطَائِهِ
 فَذَلِكَ أَبْقَى مِنْ جَدَاهُمْ وَأَقْوَمُ

إذا كان مَنْ يُعْطَى مِنَ الْمَالِ كَرَمَةً
فإنَّ الَّذِي يُعْطَى مِنَ النَّفْسِ أَكْرَمُ
وإن كان مَنْ يَتَّبِعِي الْعَمَائِرَ مُعْظِماً
فإنَّ الَّذِي يَتَّبِعِي النَّفُوسَ لِأَعْظَمُ
وما زالتِ الدُّنْيَا بِخَيْرٍ إِذَا ذُنَا
جَنَاهَا لِمَنْ شَقُّوا ثَرَاهَا وَأَوَلَمُوا
وما زالتِ الدُّنْيَا بِخَيْرٍ إِذَا وَفَى
بُئُوهَا لِمَنْ ذَادُوا وَرَادُوا وَقَوْمُوا
سَلَامٌ عَلَى يَوْمِ الْمَعْلَمِ إِنَّهُ
وَثِيقَةٌ حَبِّ . . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ



يا لياليُّ بالحسينِ أعيدي بسمَةَ الدهرِ واطخري مِن جديدِ
نحن في شاطئِ الحياةِ حيارى قد أقمنا على ضفافِ الوجودِ

على ضفاف الوجود

شاعرٌ غريبٌ

رائدُ الليلِ خَلَفَ وَهْمٍ بعيدٍ

وخيالٍ من الأمانى عنيدي

وغريبٌ يرى الصبحَ غريباً في حياةٍ كَلِيلِهِ المَعْقُودِ
وَلَوْلَ القيدُ في يديه وصاحت في شرايينه دماءُ الشهيدِ
قَلَمٌ كانَ بِسْمَةٍ في فَمِ الدنيا فماتت على فَمِ الفريدِ
أَقْفَرَتْ رَوْحُهُ وَغَاضَتْ معانيه وَأَمْسَى على الثرى فَضَلَ عَوْدِ
وبقايا حشاشةٍ تَتَلَوَّى تحت حَرِّ الجوى وَبَرْدِ الوعودِ
جَفَّ حَتَّى أَنْكَرْتُهُ وهو مِنِّي شَبَحُ الأَمِّ من خيالِ الوليدِ
أَهْ مِنْ آهَةٍ بقلبٍ شريدٍ ضَلَّ في ذلك المَتَاءِ الشَّريدِ
نحن في عالمِ حُمَادَاهُ أنا قد نَسِينَا به معاني الوجودِ
أَنْكُونُ القَبُورَ أَضِيقُ أم تلك الفياfi لساهِدٍ يَرْقُودِ

وارتقابُ الجحيمِ أمْ ذلكَ الرُّعبُ بجوِّ مُسَمِّمٍ محدودٍ
وعُواءُ الضِّياعِ بالليلِ أمْ جَرَسُ الأفاعي مُصْلَصِلاً من بعيدٍ
وجماهيرُ من عقاربِ رُغْنٍ شائلاتٍ أذناها كالْبُثُودِ
تَلْسُبُ الحيَّ والجمادَ كما استلهمَ أعمى عصاهُ فوق الصَّعيدِ

* * *

كلُّ يومٍ لنا فنونُ دفاعٍ في نزاعٍ على البقاءِ الكسيدِ
تَتَبَارَى مع الطَّبِيعَةِ والأوهامِ والخوفِ والدجى والبيدِ
ظلماتُ يَتَجَمَّنُ خَلْفَ دِياجٍ ورعودُ يَجْأَرْنَ إثرَ رعودِ
أين حربُ الأعصابِ من هذه الحربِ تَلْظُثُ في ليلها الموعودِ
أعواءُ المدافعِ الشُّكْسِ أمْ زَأْرُ غضوبٍ على الرِّبى شُحْدُودِ
يوقظُ الليلَ كلَّهُ ويكادُ الفجرُ ينشقُّ خيفةً في التُّجُودِ
وسِمَامُ الغازاتِ أمْ ذلكَ الصِّلُ بقرونيه لا بدأً في الحَرِيدِ
آه من أهةٍ بقلبٍ شريدٍ ضلَّ في ذلكَ المَتَاهِ الشريدِ

* * *

مَنْ أَباحَ الشُّدا وكان حراماً. وحشةُ الروضِ أم بكاءُ الورودِ
والذي أسلمَ العنادلَ للذلِّ هواها أم كبرياءُ النشيدِ .
لهفٌ نفسي على ورودِ القوافي . يذبلُ الوردُ في القفار ويؤدي
خطراتُ يَلْمَعْنَ في ذلكَ القفرِ كماءٌ في الصخرةِ الصَّيْخُودِ
حَرَّ قلبي عليكِ يا مصر. يا مهبطَ وحيي ويا مرادَ قصيدي

يا لياليّ بالحسين أعيدي بسمّة الدهر واطخري من جديدِ
قد بكى الناي في يد العازف النائي وأنث أوتارُهُ من بعيدِ
نحن في شاطئ الحياة حيارى قد أقمنا على ضفاف الوجود



كذلك جيشك في غرمه دماء حلال وأرض حرام
سلام على الجيش في يومه وفي كل يوم عليه سلام

نشيدُ الجيش (١)

مجدُّ في يومه المُرتَقِبُ وأشرقَ في عيدِهِ ما غَرَبَ
فَقُمَ حيَّ جيشَكَ جيشَ العَرَبِ
حَمِيَّ الدِّمَامِ وجيشَ السلامِ
سَلامٌ سَلامٌ سَلامٌ سَلامٌ

* * *

مِنْ مَجْدِنَا الغَابِرِ وَصُغْنَاهُ مِنْ دِمْنَا الشَّائِرِ
أَعَزُّ مِنَ الرُّوحِ والناظِرِ
ثَوْرِنَا الظُّافِرَةَ وَقُوَّةُ قُوَّتِهَا القَاهِرَةَ
وَيَأْوِي السَّلامُ إِلَى ظِلِّهِ

يَقِي وَالْحَانَ رِياضَ السَّنْبَاطِي، وَغَنَاءَ أُمِّ كَلْثُومِ

فيحمي السلام ويرعى الدِّمَامَ
سلامً على الجيش في يومِهِ
وفي كلِّ يومٍ عليه سلامٌ

* * *

مشى المجدُّ في يومه المرتقب
تَعَطَّرُ واديكَ أمجادُهُ وتَخَطَّرُ باليَمَنِ أعيادُهُ
وتَحْمِي العروبةُ أجنادُهُ
إذا جَرَّدَ السيفَ مَنْ جَرَّدَا أَدَارُوا عليه كؤوس الرُّدَى
وَرَدُّوهُ يعثرُ في ظُلُمِهِ
وقد لَبَسَ الصَّبْحُ وَجْهَ الظَّلامِ
سلامً على الجيش في يومِهِ
وفي كلِّ يومٍ عليه سلامٌ

* * *

مشى المجد في يومه المرتقب

* * *

سَلُّوا عَيْنَ جالوتَ عن أَمْسِهِ سلُّوا أرضَ سيناءَ عن بَاسِهِ
إذا صَرَخَ الهَوُّ عن نَفْسِهِ
وكَبِّرَ للموتِ مَنْ كَبَّرَا وناذَى إلى الله أَسَدَ الشُّرَى
كذلك جيشُكَ في عَزَمِهِ

دَمَاءٌ حَلَالٌ وَأَرْضٌ حَرَامٌ
سَلَامٌ عَلَى الْجَيْشِ فِي يَوْمِهِ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَيْهِ سَلَامٌ



كأني حين أنفثها دخاناً
وأغرق في سحابها سحابي
أحيل قليل أيامي بخوراً
وأعقده على هذا الضباب

سِجَارَتِي

مُعَلَّلَةٌ كَأَنَّ النَّارَ فِيهَا
دَيْبُ الْيَأْسِ يَصْرُخُ فِي إِهَابِي
وَأَحْسَبُ أَنَّنِي أَشْعَلْتُ فِيهَا
بَقَايَا مَهْجَتِي دُونَ الثُّقَابِ
تُخَذِّرُ مِنْ هُمُومِكَ وَهِيَ هَمٌّ
وَتُورِدُكَ الْمَعَاظِبَ كَالرَّغَابِ
وَتُنْسِيكَ اللَّيَالِي وَهِيَ ذَكَرٌ
مِنَ النِّسْيَانِ مُلْتَظَمُ الْعُبَابِ
كَأَنِّي حِينَ أَنْفُتُهَا دَخَانًا
وَأَغْرِقُ فِي سَحَابَتِهَا سَحَابِي
أَحِيلُ قَلِيلَ أَيَّامِي بِخُورٍ
وَأَعْقِدُهُ عَلَى هَذَا الضُّبَابِ

وأشعرُ حينَ تَخْبُو أنَ نفسي
شعاعُ في يدِ الأقدارِ خابي

* * *

مُصاحبتِي وأنتِ حُطامُ نفسي
متى كانَ العدوُّ منَ الصَّحابِ
إذا ارْزَقَ النديُّ ويثُ وحدي
وطالَ الليلُ بي وخلا وطايي
هربتُ لها على عِلْمي بأني
أفرُّ منَ العذابِ إلى العذابِ



عَهْدُهُ الْوَثِيقُ وَاحِدَةُ النِّجَاهِ
أَوَّلُ الطَّرِيقِ هُوَ مَتْنُهَا

عَرُوسُ السَّمَاءِ (١)

أوقدوا الشُّمُوسَ أنُقروا الدُّفُوفَ
موكبُ العروسِ في السَّما يطوفُ
والمُنَى قُطُوفُ
أنُقروا الدُّفُوفَ

* * *

الرُّضَا والنُّورَ والصُّبَايا الحُوزَ
والهوى يَدُورُ
آنَ للغريبِ أن يرى حماة
يومُهُ القريبِ شاطئ الحياه

(١) موسيقى وألحان محمد الموجي وغناء أم كلثوم

وَالْمَنَى قُطُوفُ
فِي السَّمَاءِ تَطُوفُ
أُنْقُرُوا الدُّفُوفُ

* * *

يَا حَبِيبَ الرُّوحِ تَائِهٌ
مَجْرُوحٌ كُلُّهُ جَرُوحُ

لَائِدٌ بِالْبَابِ شَوْقُهُ
وَالرِّضَا رِحَابُ يَشْمَلُ
دَعَاهُ الْعُفَاةُ

وَالْمَنَى قُطُوفُ
فِي السَّمَاءِ تَطُوفُ
أُنْقُرُوا الدُّفُوفُ

* * *

طَافَ بِالسَّلَامِ طَائِفُ
السَّلَامِ يُوقِظُ النَّيَامَ

عَهْدُهُ الْوَثِيقُ وَاحِدٌ
أَوَّلُ الطَّرِيقِ هُوَ
النُّجَاةُ مُنْتَهَاةُ

وَالْمَنَى قُطُوفُ
فِي السَّمَاءِ تَطُوفُ
أُنْقُرُوا الدُّفُوفُ

* * *



إذا كان قولُ الحقِّ جَهْدَ دُعَايِهِ
فَفِعْلُكَهُ لَا شَكَّ أُخْرَى وَأَجْهَدُ
وليس الذي يحيا الزمانُ بفعلِهِ
كمثل الذي يحيا وليس له غَدُ

كَلِمَةٌ وَفَاء

ألقى في الحفل الذي أقيم بدار الأوبرا عام
١٩٤٦ تكريماً للصدیق الراحل أبي الشعراء
إبراهيم دسوقي أباطة

على أيّ فرعٍ من معانيك أنشدُ
لقد حَنُّ للشُّدُو الهتوفُ المغرُ
وطابَ له لحنٌ جديدٌ سقى به
ندامي معانٍ فيك تدنو وتبعدُ
صحا الشعرُ في محرابها هَمَسَ نغمةً
تظلُّ بنفس السَّامعيها تَرَدُّدُ
بَدَتْ في كهوفِ النفسِ معنىً مُخلِّقاً
له في كهوفِ النفسِ نارٌ ومعبُدُ

تَطِيفُ شَوَادِيهِ كَأَحْلَامِ شَاعِرٍ
 لَهُ فِي ضَفَافِ الْفَنِّ مَغْنًى وَمَعْهَدُ
 سَعَى لَكَ مَنُغُومَ الْيِرَاعَةِ شَادِيَاً
 يُرْتِّلُ أَلْحَانَ الْوَفَاءِ وَيَنْشُدُ
 أَلَسْتُ الَّذِي أَنْبَتُهُ وَسَقَيْتَهُ
 فَهَا أَنْتَ تَجْنِي مَا زَرَعْتَ وَتَحْصُدُ
 مِنَ الْأَدَبِ الْمَطْبُوعِ صُغْبَ مَنْوَنِهِ
 وَرُحْتَ تَرْكِيهِ وَتُوحِي وَتَرْشُدُ
 فَسَارَ يَجُوبُ الدَّهْرَ تَسْقِي لِحُونَهُ
 مَلَاحِنَ مَنْ غَنُّوا بِهِ ثُمَّ أَلْهَدُوا
 فَأَيَّ أَيْادِكَ الْكَرِيمَةِ إِنَّهَا
 لِكُلِّ مَعَانِيهِ الْكَرِيمَةِ مُورِدُ
 وَأَيَّ مَعَانِيكَ الرَّفِيعَةِ إِنَّهَا
 لِأَفَاقِهِ الْعَالِيَا سَبِيلٌ وَمَقْصَدُ

* * *

تَزَاحَمَتِ الْأَصْوَاءُ حَوْلَ خَوَاطِرِي
 وَتَرَجَمَهَا حُبٌّ قَدِيمٌ مُجَدِّدُ
 أَلَسْتُ الْفَتَى تُرْجَى يَدَاهُ. وَيُتَّقَى
 كَمَا يُتَّقَى السَّيْبُ الْهَنُونُ وَيُقْصَدُ

وَيُتِّكَ فِيهِ لِلْفَنُونِ مَثَابَةٌ
 فَكُلُّ أَدِيبٍ فِي حِمَاكَ مُحَسَّدُ
 وَمَنْ لَكَ بِالْبَيْتِ الَّذِي هُوَ كَعْبَةٌ
 يُصَلِّي بِهَا شَعْرُ، وَعِلْمٌ، وَمَحْتَدُ
 دَسُوقِي وَإِلَّا مَنْ؟ وَكَيْفَ إِذَا انْبَرْتُ
 لِمَصْرِ اللَّيَالِي وَالْحَوَادِثُ تُرْعِدُ
 لَهُ غَضَبَةُ الْأَحْرَارِ تَنْضَحُ عِزَّةً
 إِذَا زَايَلَ الْأَغْرَارَ ذَاكَ التَّجَلُّدُ
 وَلَيْسَ الدَّسُوقِي وَاحِداً بَيْنَ قَوْمِهِ
 وَلَكِنَّهُ جَيْشٌ وَرَأْيٌ مُؤَيَّدُ
 وَإِنْ شَجَاعاً مَنْ يَشْقُ بِرَأْيِهِ
 طَرِيقاً عَلَى شَوْكِ الْخُصُومَةِ يُمَهِّدُ
 وَمَنْ كَانَ لَا يَرْضَى بِبَسْطِ يَمِينِهِ
 وَلَوْ كَانَ فِيهَا جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ
 كَذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ رَأياً مُجَرِّداً
 وَأَشْرَفُ مَا فِي النَّفْسِ رَأْيٌ مُجَرَّدُ
 مِنَ الصَّيْدِ شَبَّ الْمَجْدُ حَوْلَ بِيوتِهِمْ
 فَكُلُّ فَتَى قَدْ الْمَجَادَةِ أَصِيدُ
 مَسَامِيحُ وَضَّاحُونَ. لِلثُّبُلِ مِنْهُمْ
 بِكُلِّ سَمَاءٍ فِي الْكِنَانَةِ فَرْقَدُ

وَشَتَّانَ بَيْنَ الْمَجْدِ طَبْعٌ وَمَحْتَدٌ
أَصِيلٌ وَبَيْنَ الْمَجْدِ شَيْءٌ مُقَلَّدٌ

* * *

على أيِّ فرعٍ من معانيك أنشدُ
وفي أيِّ بيتٍ من مزاياك أخلدُ
وفيكَ لمنهومِ الخيالِ عوالمُ
من الواقعِ الملموسِ أقوى وأبعدُ
وتاريخُك الموصولُ تاريخُ نهضةٍ
يُسجِّلُها جيلٌ من العزمِ أيَّدُ
تُصاوِلُ بالرأيِ الخصومَ وربما
أصابَ الحجا ما لم يُصِبه المهنَّدُ
بلاءُ الجهادِ المرُّ في زحمة الدُّجى
وفي الناسِ أصنامٌ تَفْضِلُ وتُعْبَدُ
إذا كان قولُ الحقِّ جَهْدَ دَعَايِهِ
فَفَعْلُكَه لا شكَّ أحرى وأجهدُ
وإنَّ صلاحَ الحكمِ تفسدهُ يَدُ
كما أن سوءَ الحكمِ تُصلحه يَدُ
وليس الذي يحيا الزمانُ بفعله
كمثل الذي يحيا وليس له غَدُ

وما كنت تزهو أن تنالك رتبة
وأنت عن الألقاب تغنى وتزهّد
وفي الناس من تعلو المناصب باسمه
وفي الناس من يعلو عليها ويصعد



نحن في عالمٍ تَحَقِّقُهُ الشكُّ وضلَّ الصوابُ فيه الصوابا
أمةٌ تنشُدُ السلامَ فما بال حمام السلام أَمسى غرابا

أَلْحَانُ ثَائِرَةٌ

مهداة للصديق المناضل القديم محمود فهمي
النقراشي عندما طار إلى نيويورك عام ١٩٤٧
ليخاضم الاحتلال البريطاني إلى مجلس الأمن
ويقول للانجليز أخرجوا من بلادنا

أَلْقِ عن وجهها الغضوبِ النَّقَابَا
لَا تُخَاصِمِ إِلَى الدُّثَابِ الدُّثَابَا .
أَمِرَ الْأَمْرُ فَادْرِعْهُمْ شِيوْخَا عَاقِرُوا الصَّبْرَ وَادْرِعْهُمْ شَبَابَا
وَأَذِرْ لَحْنَكَ الَّذِي أَيْقَظُ الثُّورَةَ وَاخْمُرْ فِي صَهْدِهِ الْأَعْصَابَا
نحن في عالمٍ تَحْيِفُهُ الشُّكُّ وَضَلَّ الصَّوَابُ فِيهِ الصَّوَابَا
أُمَّةٌ تَنْشُدُ السَّلَامَ فَمَا بَالُ حَمَامِ السَّلَامِ أَمْسَى غَرَابَا . .
أَيُّ أَمْشُولَةٍ أَصَمَّ بِهَا الدَّاعِي وَإِنْ هَاجَ ثَائِرِينَ غَضَابَا

معبدٌ صَوَّرَ العَدَالَةَ فِي الأَرْضِ إِلَهًا وَالْأَمْنَ فِيهَا نَصَابًا
 مَا لِرَهْبَانِهِ الْعَجَائِزُ كَانُوا أَوَّلَ الْمَلْحَدِينَ لَمَّا أَهَابَا
 مَا لِلْحَانَةِ الْجَمِيلَةِ بَاتَتْ فَوْقَ اِطْلَالِهِ بُكَاءٌ وَنُعَابَا
 إِنَّمَا نَحْنُ أُمَّةٌ تَعْلِيكَ الْحَقَّدَ فَمَا بَالُنَا نَعَاثُ اللُّهَابَا
 وَإِذَا الْحَقُّ لَمْ يَصَادِفْ سَمِيعًا. أَوْشَكَ الْحَقُّ أَنْ يَحُولَ اخْتِرَابَا

* * *

لَيْسَ فِي شِرْعَةِ الطَّوَاعِمِ غَيْرُ النَّارِ رَبًّا وَغَيْرُهَا مُحْرَابَا
 وَالَّذِي يَطْلُبُ الْحَيَاةَ سَلَامًا كَالَّذِي يَطْلُبُ الْحَيَاةَ سَرَابَا
 ذَلَّ مَنْ يَرْكَبُ الرَّجَاءَ وَفِي كَفِيهِ ظُفْرٌ يَذُودُ.. ذَلَّ رَخَابَا



لا تختصم يوماً إلى حكمٍ غير الظبا واضرب كما ضربوا
أضرب بغير الهاتفين فقد أودى بقومي الفقه والخطب

إِضْرَبْ بِغَيْرِ الْهَاتِفِينَ

في استقبال قواتنا التي كانت محاصرة
بألفالوجه في حرب ١٩٤٨

وَتَنَفَّسَتْ فِي نَارِهَا التُّوبُ	ضَجَّ الْحَدِيدُ وَأَعْوَلَ اللَّهَبُ
يَوْمًا عِزَائِمُهُمْ وَمَا تَعَبُوا	وَاسْتَعَصَمَ الْأَبْطَالُ مَا تَعَبَتْ
وَتَرَاشَقَتْ بِأَوَارِهَا الشُّهُبُ	فِي مَوْقِفِ جُنِّ اللَّهَابِ بِهِ
مَنْ كَابَدُوا الْأَهْوَالَ وَاعْتَرَبُوا	وَالْمَوْتُ أَيْسَرُ مَا يَكَابِدُهُ
ضَرْبٌ ، وَلَوْ كَانَ الرَّدَى ضَرَبُوا	صَبْرٌ ، وَلَوْ كَانَ اللَّظَى صَبَرُوا
الظَّامِثُونَ مِنَ الدِّمَا شَرَبُوا	الْجَائِعُونَ مِنَ الْعِدَا أَكَلُوا
هُوجَاءَ يَحْجُمُ عِنْدَهَا الرَّهْبُ	وَالرَّاكِبُونَ لِكُلِّ رَاعِبَةٍ
يَوْمَ كَيَوْمِ الْحَشْرِ مُرْتَهَبُ	فِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَ يَفْجُوهُمْ
وَالرُّعْبُ فِي الْأَخْلَادِ يَضْطَرُّ	فَالْجَوْنَارُ، وَالتَّسْرَى جُنْتُ

صبروا وصوت النار حشرجةً
 في موقفٍ ضئِكَ تفورُ به
 وكأنهم بحرٌ يموجُ لظى
 واستبسلا والموتُ يقتربُ
 أهوالها والموت ينسربُ
 وكأنما أعداؤهم حَبَبُ

* * *

وعلى الأساويدِ أسودٌ لَجِبُ
 حاقَتْ به البلوى فقال لها
 إني أنا (الضَّبْع) الذي عرفوا
 قالوا الحصارُ فقلت لو عرفوا
 لرجالي الأبطالِ ما جمعوا
 لم تُبْنَ أحجاراً معاقلنا
 واستمطر الموتُ الزوَامَ على
 وصحَّت بمصر مجادةٌ سَلَفَتْ
 فكان كل قذيفةٍ مَرَقَتْ
 هو وحده جيشٌ بها لَجِبُ
 فَوَزُ الكماةِ الغلبُ يُغْتَصَبُ
 والضيغمُ العادي الذي رهبا
 عَقْبَاهُ لم يُمَهِّلَهُمُ الهَرَبُ
 ولناري الحمراءِ ما جلبوا
 أحجارُهُنَّ الصبرُ والغلبُ
 هاماتهم فكانه سُحْبُ
 وزها حماها الكبر والعَجَبُ
 بلدٌ يقومُ وأمةٌ تَشِبُ

* * *

لم أنسَ عودته وقد حُشِدَتْ
 يستقبلون أشمٌ ما شهدتُ
 نشروا عليه الوردَ ما عرفوا
 أفضى إليه بصره الرَّهَبُ
 واستلهمَ التاريخُ وثَبَّتَهُ
 ياهنولها حرباً يمدُّ لها
 عصيٌ تضجُ وراءها عُصَبُ
 نِداً له الأجيالُ والِحَقَبُ
 كم شوكةٍ بدماء تحتضبُ
 واقتات من عزماته اللَّهَبُ
 والحرُّ إن خَاشَتَهُ يَثِبُ
 ظلمُ العبيد البيض والكذبُ

كانت حديداً كالْحاءِ ولظيَّ
لا تختصم يوماً إلى حَكَمٍ
إِضْرَبْ بغيرِ الهاتفين فقد
ليس الجهادُ لِطامِ نائحةٍ
واليوم يعلنُ حربَهُ الذهبُ
غيرِ الظُّبا واضربْ كما ضربوا
أَوْدَى بقومي الفقهُ والخُطْبُ
إن الجهادَ الحَرْبُ والحَرْبُ

* * *

يا مارِدَ الجيش الذي اُنْبَعَثَ
يا قصةَ النيل التي كتبتْ
جُرْحُ الكنانةِ بيننا رَجِمُ
وَصَحَتْ على صرخاته العربُ
أَسْطَارَها الألامُ والثُوبُ
والتَّأْرُ بين طِلابِهِ نَسَبُ



بُكَائِيَّاتُ



أيهذا النديمُ أفرغُ كاسي قد تولَّى زمانُ تلك الكاسِ
كَلَاءُ العُمُرُ يا نديمُ فدعني لا تكن قاسياً كـبعض الناسِ

وَرَاءَ الرَّاحِلِينَ

قلْتُ للكاس والليالي غريمي. أين يا كاسُ كَرمتي ونعيمي
جمعَ الليلُ شاربِها فما لي لا أرى بين شاربِها نديمي
فأجابَتْ مَنْ اختَكَمَ
لليالي فقد حَكَمَ

* * *

والليالي تسيرُ خَلْفَ الليالي حواملٍ حَقائبِ الأَجَالِ
نائمُ القلبِ غافلٌ لا يراها أو يراها لكنه لا يبالي
آه لو يفهمُ الأَلَمَ
آه لو يعرفُ النَّدَمَ

أيُّ هذا النديمُ أَفْرِغْ كاسي قد تولى زمانُ تلك الكاسِ
كَلَّا العُمُرُ يا نديمُ فدَعني لا تكن قاسياً كبعض الناسِ



ولو كان جُرح الجسم هانَّ احتمالُهُ
ولكنه جرحٌ تكابُدُهُ النفسُ
فوارحمنا للقلب كيف اصطبارُهُ
وآهِ على عهدٍ تولَّى به الأَمْسُ

رُؤَيْدُكَ يَا عَيْنِي

أَقُولُ وَقَدْ ضَاقَتْ بِحَاجَتِهَا النَّفْسُ
رُؤَيْدُكَ يَا عَيْنِي فَقَدْ فَاضَتْ الْكَأْسُ
رَأَيْتُ اللَّيَالِي آسِيَاتٍ جَوَارِحاً
فَمَا لِلَّيَالِينَا تُصِيبُ وَلَا تَأْسُو
وَلَوْ كَانَ جَرَحَ الْجَسْمِ هَا نَاحِثُهُ
وَلَكِنَّهُ جَرَحُ تَكَابُدِ النَّفْسِ
فَوَارِحَتَا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اصْطَبَرَاهُ
وَأَوْ عَلَى عَهْدِ تَوَلَّى بِهِ الْأَمْسُ
وَأَوْ عَلَى مَنْ لَا يَسْرَانِي وَلَا أَرَى
سِوَاهُ. وَمَنْ يَحْنُو عَلَيَّ وَلَا يَقْسُو
لَقَدْ حَالُ صَفْوِ الْعَيْشِ بَعْدَ رَحِيلِهِ
وَأَصْبَحْتُ وَحْدِي لَا أُنِيسُ وَلَا أُنْسُ

وإنَّ جِدَارَ الصَّمْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
لَشَيْءٌ رَهِيْبٌ لَا يُحِيطُ بِهِ حَدْسُ
وإنَّ سِتَارَ الْمَوْتِ دُونِي وَدُونَهُ
لَكَالْلَّيْلِ إِذْ يَغْشَى جَوَانِبَهُ الْيَأْسُ
فِيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ حِينَ قَضَى بِمَا
قَضَاهُ طَوَانِي فَاحْتَوَانَا مَعًا رَمْسُ



ربوعُ بها ألقى الربيعُ رحالَهُ
وطابَ له فيها ضحىٌ وأصيلُ
نُحسُ كأنَّ الظلَّ فيهنَّ نسمةٌ
وكلُّ نسيمٍ فوقهنَّ ظليلُ

حَنِينٌ

أَلَا هَلْ لَوَادِي الرَّاحِلِينَ سَبِيلُ
أَلَيْسَ لِلَّيْلِ الْحَائِرِينَ دَلِيلُ
تَنَاءَتْ بَنَا الدُّنْيَا وَحَالَتْ عَهْدُهَا
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنَّهَا سَتَحْوُلُ
صَبَايَ. وَأَيَّامِي. دِيَارُ أَحْبَبْتِي
وَلَانِي إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ أَمِيلُ
فَكُلُّ مَكَانٍ غَيْرِهَا دَارُ غَرْبَةٍ
وَكُلُّ زَمَانٍ بَعْدَهُنَّ فَضُولُ
رَبْرُوعٌ بِهَا أَلْقَى الرِّيْعُ رَحَالَهُ
وَطَابَ لَهُ فِيهَا ضُحَى وَأَصِيلُ
نُحِسُ كَأَنَّ الظِّلَّ فِيهِنَّ نَسْمَةٌ
وَكُلُّ نَسِيمٍ فَوْقَهُنَّ ظَلِيلُ

أَجِنُّ لَوَادِي الرَّاحِلِينَ وَمَنْ بِهِ
وَقَلْبِي بِوَادِي الرَّاحِلِينَ عَلِيلُ
يُطَالِعَنِي وَاللَّيْلُ يَمْتَدُّ بَيْنَنَا
فَأَشْجَى وَلَيْلُ الْحَائِرِينَ طَوِيلُ
تَرَكْتُ بِهِ أَحْلَامَ قَلْبِي.. تَرَكْتُهَا
وَبِي مِنْ جَوَاهِرَ حَيْرَةٍ وَذَهْوٍ
مَتَى تَجْمَعُ الْأَيَّامُ شَمْلِي وَشَمْلَهُمْ
وَيَسْكُتُ دَاعٍ فِي الضُّلُوعِ يَقُولُ
أَلَا هَلْ لَوَادِي الرَّاحِلِينَ سَبِيلُ



لَقَدْ كُنْتَ ضَالًّا أَفِيءَ إِلَيْهِ
وَأَهْرَبُ مِنْ يَوْمِي الْمُرْهَقِ
وَكُنْتَ قَصِيدًا جَدِيدَ الرُّؤْيَى
شَجِيحًا مَعَانِيهِ لَمْ تُطْرَقِ

دُمُوعُ لَا تَحْفَ

إلى روح زوجي في أول عيد يأتي بعد رحيلها

أنى العيدُ (نازلي) ولم نلتقِ
وغامتُ سمائي فلم تُشرقي
أنى العيدُ يطرقُ بابي فما
أجابَ سوى دمعي المُهرَقِ
أعيدُ وأنتِ بعيدُ هناكِ
تُقيمين تحت الثرى المُطبِقِ
وكيف وقد شاءَ وَجْهُ الحياةِ
بعميني وبأثت بلا رونقِ

أَعِيدْ يُلِمُّ بِنَا سَاقِيَا
 بِكَاسِ الْمَسْرَةِ مَنْ يَسْتَقِي
 وَكَيْفَ وَقَدْ أَوْحَشَ الْبَيْتُ مِنْكَ
 وَأَقْفَرَ مِنْ أَنْسِيهِ الْمَشْرِقِ

* * *

لَقَدْ كُنْتَ ظِلًّا أَفِيءٌ إِلَيْهِ
 وَأَهْرُبُ مِنْ يَوْمِي الْمُرْهَقِ
 وَقَدْ كُنْتَ أَمْنًا لِرُوحِي مِمَّا
 أَخَافُ أَذَاهُ وَمَا أَتَقَى
 وَقَدْ كُنْتَ قَلْبًا كَبِيرَ الْمُنَى
 لَغَيْرِ الْمَحَبَةِ لَمْ يُخْلَقِ
 وَقَدْ كُنْتَ رَوْضًا. تُخَايِلُ عَيْنِي
 مَخِيلٌ مِنْ حُسْنِهِ الرِّيقِ
 وَكُنْتَ هَتُوفًا تُنَاغِمُ سَمْعِي
 بِلَحْنٍ مِنَ الْخُلْدِ لَمْ يُشْبَقِ
 وَكُنْتَ قَصِيدًا جَدِيدَ الرُّؤْيِ
 شَجِيًّا مَعَانِيهِ لَمْ تُظَرَّقِ
 وَكُنْتَ وَكُنْتَ وَكَانَتْ لَنَا
 عَوَالِمٌ مِنْ رَوْحِكَ الْمُغْدِقِ

مضى كلُّ هذا ولم يَتَوَّ لي
سوى ذكرياتِ الأسي المُوَبِّقِ
فيها لهفَّ نفسي ماذا مضى
ويا لهفَّ نفسي ماذا بَقِيَ



أبكي على أيماننا القصار
وأنت يا حُزني غريبة الديار
بعيدة بالرغم من قُرب المَزار

دُمُوعٌ لَا تَجْفُ

٢

لَا يَقْرُ لي قَرَارُ
رُني غَريبةُ الدِيَارِ
نَم مِن قُرب المَزارِ
يَا لَا أَرَاكَ
أرى سِوَاكَ
نِيا كَمَا نَخْتَارُ
نَا جَنَى يُشْتَارُ
عُطَارُ
لأَطْيَارُ
زَهَارُ
جَرى لَنَا

وكيف مالت الليالي بنا
فبدلت أحوالنا
وبددت أحلامنا
وصيرتني دائم الأواز
في ليلة ليس لها نهار
أبكي على أيامنا القصار
وأنت يا حُزني غريبة الديار
بعيدة بالرغم من قرب المزار

* * *

يا نسمة الفجر التي نشقتُها
يا جنة الحب التي غرستُها
يا نعمة الله التي فقدتُها
ورحلت بعدها أعاتبُ الزمان
ولا عتاب للزمان
فهذه حكومة الأقدار
وليس لي في ذلك اختيار
ولا اضطبار
وأنت خلفت هذه الأحجار
في عالم الأسرار
بعيدة بالرغم من قرب المزار



وسألت عن سرِّ الحياةِ
وهالني أني ضللتُ
وأنني في تيهٍ
ونظرتُ للدنيا وما تَعْنِيهِ
وأزلتُ صَبْغَ حدودِها
فَتَكَشَّفْتُ عن منظرٍ تحت الصُّبَاغِ كَرِيهِهِ

دَمْعَةٌ وَفَاءٌ

مهداة إلى الصديق الراحل الأستاذ الشيخ
محمد عمر .

ما كنتُ أحسبُ أنني أرثيهِ
فرثيتهُ
أو أنني يومَ النوى أبكيهِ
فبكيتُهُ
وذكرتُ أحلامَ الصبا فذكرتهُ
وذكرتُ أيامي غداً لقيتهُ
وألفتهُ
أيامَ كان . .
وكنْتُ فيما كُنْتُه

والمعهد الديني في دمياط . .
 محراب الأديب وبيته
 ولجامع البحر العتيدي مكانه وزمانه
 إذ كان هذا وقته

* * *

في ذلك العهد العهيد عرفته
 ووجدت نفسي فيه حين وجدته
 وجلست منه مجلس التلميذ من أستاذه
 وحضرته
 وسمعته
 وسمعت عنه وقلت فيه وزرته
 وشربت من رآووقه وسقيته
 ما زال في سمعي يُجلجلُ صوته
 ما زال في عيني بهاء وسمته
 والشيخ في الكشمير يلمع كالسنا
 ويكاد ينطق بالبشاشة صمته
 والبسمة البيضاء تغسل وجهه
 وتضيء في عينيهِ
 وتكاد تُومي بالوداد إليه
 وكانها رد السلام عليه

* * *

ولطالما عَبَثَ الشبابُ ..
 وطالما عَابَثُهُ
 وعلى بساطِ اللّهُو كَمْ سَاقَيْتُهُ
 فلنا حديثُ ضاحكٍ لا ينتهي
 لولا جلالُ الموتِ كُنْتُ ذَكَرْتُهُ

* * *

وَتَفَرَّقْتُ سَبْلُ الحَيَاةِ بنا
 ونَادَى كُلُّ حَيٍّ قُوَّتُهُ
 وتَبَاعَدْتُ أَيَّامُنَا
 وترَكْتُ عَهْدَ فُتُوْتِي
 وَتَرَكَتُهُ
 وقَطَعْتُ أَسْبَابَ التَّرْسُلِ بَيْنَنَا
 حَتَّى دَعَانِي نَعْيُهُ فَأَجَبْتُهُ
 وَبِكَيْتُهُ
 وَبِكَيْتِ نَفْسِي فِيهِ
 ورَأَيْتُ مَا فَعَلَ الرَّدَى بِبَيْنِيهِ
 والمَوْتُ يُنْقِضُ كُلَّ مَا تُبْنِيهِ
 وسَأَلْتُ عَنْ سِرِّ الحَيَاةِ ..
 وهَالِكِي أَنِّي ضَلَلْتُ وَأُنْثِي فِي تِيهِ
 ونَظَرْتُ لِلدُّنْيَا وَمَا تَعْنِيهِ

وَأَزَلْتُ صَبْنِغَ خُدُودِهَا .
فَتَكَشَفَتْ عَنْ مَنْظَرٍ تَحْتَ الصَّبَاغِ كِرِيهِ
بِخْدَاعِهَا تُخْفِيهِ
وَاهَا عَجُوزَ النَّحْسِ . .
مَاذَا يَرْتَجِي مِنْكَ الْعَدِيمُ
وَمَا الَّذِي يَجْنِيهِ

* * *

وَلَقَدْ تَنَاسَيْتُ الْمُنُونَ . .
فَرَدَّنِي لِلْمَوْتِ نَاعٍ جَاءَنِي يَبْكِيهِ
أَوْدَى مُحَمَّدٌ وَانْطَوَتْ أَيَامُنَا
وَأَتَيْتُ أَنْشُرُ بَعْضَ مَا تَطْوِيهِ
وَأَقُولُ فِيهِ شَهَادَةً تُرْضِيهِ
مَا مَبْلَغُ الْعِرْفَانِ مِنْ تَلْمِيذِهِ . .
وَصَدِيقِهِ وَأَخِيهِ
رَحِمَ الْإِلَهُ مُحَمَّدًا
وَجَزَاهُ عَنَا خَيْرَ مَا يَجْزِيهِ
وَأَنَا بَنَا فِيهِ
وَأَعْظَمَ أَجْرَهُ لِذَوِيهِ

شكر ودموع

إلى الشاعر الملحمي الاستاذ كامل أمين رداً
على قصيدة تمزية.

جَلَدْتُ أَلَمًا ذَهَبَ بِسَائِرِي^(١)
وَأَعَدْتُ لِي أَشْجَانَ أَمْسِ الدُّائِرِ
يَا مَنْ يُكَلِّفُنِي مَرَاجِبَ وَدُّهِ
مَاذَا صَنَعْتَ بِعَالَمِي وَخَوَاطِرِي
وَأَسَيِّتُنِي فَتَكَاتَ جُرْحًا غَائِرًا
تَعْتَاذُهُ أَسْبَابَ شَجَرٍ غَائِرِ
وَأَنَا امْرُؤٌ عَرَفَ الْكَآبَةَ شَيْئُهُ
ثَمَنًا لِسَالِفَةِ الشَّبَابِ الْبَاكِرِ

(١) سائر الشيء: بقيته

أيامَ كنتُ وكانت الدنيا على
عِلاتها أفراحَ شوقٍ غامرٍ
والآن قد بعدتُ ديارُ أحبتي
ونأى مازارُهُمُ لأقربِ زائرٍ
تَهْتَاجُنِي الذكري وتُشجِنِي النوى
وتتألُّ مِن صَبْرِي فلسْتُ بصابرٍ

المحتويات

الصفحة

٧ مقدمة
٩ راهب الليل
١٥ ميلاد شاعر
٢٣ في حانة سيد درويش
٢٩ في انتظار الفجر
٣٥ رجعة إلى موسى
٤١ لحن قديم
٤٥ محمود حسن إسماعيل في ذكره الرابعة
٤٩ وراء خطى الليل
٥٧ هلال المحرم
٦٣ طاعة المعصية
٦٧ لغيرك ما مددت يداً
٧١ حانة الأقدار
٧٧ يقولون لي غني
٨١ في بحار الندم
٨٥ صبحبة الراح

الصفحة

٨٩	أحبك حين
٩٣	كنت معلماً
١٠١	شاعر غريب
١٠٧	نشيد الجيش
١١٣	سجاري
١١٧	عروس السماء
١٢١	كلمة وفاء
١٢٩	ألحان نائرة
١٣٣	إضراب بغير الهاتفين
١٣٧	بكائيات
١٤١	وراء الراحلين
١٤٥	رويدك يا عيني
١٤٩	حنين
١٥٣	دموع لا تجف (١)
١٥٩	دموع لا تجف (٢)
١٦٣	دمعة وفاء
١٦٧	شكر ودموع

مطابع الشروف

بکیروات، منبہ، ۸۶۶ - هاتف: ۳۱۵۸۵۹ - ۳۱۵۹۱۹ - ریڈیا، کالٹریک - تلکون SHOROK 20175 LE
الغٹاھر، الشایع جیٹاد حسبی - هاتف ۷۷۴۸۱۱ - سولیا، شرورق - تلکون 83091 SHROK UN

